فتشوا الكتب

المحبة بلا حدود

تأليف

الأسقف فستو كيفنجرى

تعريب

فؤاد زكى

الطبعة الثالثة

٢٠٠١

لجنة خلاص النفوس للنشر

٣ «فتشوا الكتب» رقم ١٤٦ المحبة بلا حدود الأسقف فستو كيفنجرى

١٤٦

فى هذا الكتاب

الأسقف فستو كيفنجرى ، هو هدية أفريقيا للمسيحية فى أوربا وأمريكا ، والعالم أجمع . لقد قدم من نبع ايمانه البسيط ، ومحبته المشعة ، صورا جميلة لمحبة الله للبشرية ، بمختلف جوانبها وصورها .

وفى هذا الكتاب يقدم لنا هذا الخادم والكاتب الموهوب مجموعة من الرؤى البديعة لمحبة الله الناس فى مختلف ظروفهم وأحوالهم . ومن أية زاوية كان يرى أية من تلك الرؤى كان يرى يسوع .

يسوع المحب الرقيق ، الصفوح ، المخلص ، المتفهم ، المشجع ، المغدق .. يسوع المحب .. بلا حدود .

المحبة بلا حدود

تأليف

الأسقف فستركيفنجي

تعريب

فؤاد زكى

الطبعة الثالثة

٢٠٠١

يطلب من
لجنة خلاص النفوس للنشر
١٢ ش قطة - شبرا مصر
ت : ٥٧٧٢٥٢٦ - ٥٧٦٤٢٠٠



مطبعة الخلاص

مقـــدمة

بقلم بول ريس

فستو كيفنجرى ، المـدرس ، والمبشر ، والأسقف ، والأخ في الرب ــ هو هدية أفريقيا للكنيسة في كل العالم •

لقد جعلنا جميعا مدينين له ، بما قدمه لنا من غنى نبع ايمـانه البسيط ، ومحبته المشعة ، في هـذه السلسلة من الأحـاديث المكتوبة • لذلك فان الفـائدة التى يجنيها القارىء من قراءته للصفحات التالية سوف تزداد اذا قرأها مستمعا • فهذه المجموعة من الموضوعات العملية المـؤثرة تقدم هنا تقريبا بنفس الكيفية التى ألقيت بها •

ان عقول الكثيرين نادرا ما تدرك أن الكتاب المقدس كتاب وصفى ، فما يقدمه من صور ملونة متكاملة يحيط بنا في كل مكان • ولا يوجد من هو أكثر تآلفا مع ما يقدمه

الكتاب من صـــور أكثر من صديقى العزيز الأسقف فستو كيفنجرى ، الـــذى أدين له بشكر يفـــوق كثيرا ما قـــد يتوقعه •

والآن ، أتركك لكى تشاركه هـــذه الرؤى البديعة ، فهـــو يرى الكثير • لكن أينما نظر ، ومهما كانت الزاوية التى ينظر منها ، فانه يرى يسوع •

١٩٧٥ بول س • ريس

(١)

المحبة للتائب

(الابن الضال)

« وقال : انسان كان له ابنـــان ، فقـــال أصغرهما لأبيه يا أبى أعطنى القسم الـــذى يصيبنى من المال ، فقسم لهما معيشته • وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة ، وهنـــاك بذر ماله بعيش مسرف • فلما انفق كل شيء حـــدث جوع شديد فى تلك الكورة ، فابتدأ يحتاج • فمضي والتصق بواحـــد من اهل تلك الكورة فارسله الى حقـــوله ليرعى خنازير • وكان يشتهى ان يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تاكله ، فلم يعطه احد • فرجع الى نفسه ، وقـــال كم من اجير لأبى يفضل عنه الخبز وانا اهلك جوعا ، اقوم واذهب الى ابى واقول له يا ابى اخطات الى السماء وقدامك ، ولست مستحقـــا بعـــد ان ادعى لك ابنا ، اجعلنى كاحد اجراك • فقام وجاء الى ابيه. واذ كان لم يزل بعيـــدا رآه ابوه ، فتحنن ، وركض ، ووقع على عنقه وقبله • فقال له

الابن يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا ، فقال الأب لعبيده أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه، واجعلوا خاتما فى يده ، وحذاء فى رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد . فابتدأوا يفرحون »

(لو ١٥ : ١١ – ٢٤)

مرحبا .. بالعائد للبيت

كان لرجل ابنان ، فقال أصغرهما لأبيه : « أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال » . وكأنه يقول : « أعطنى القسم الذى سيكون نصيبى عندما تموت » .

فنظر الأب العجوز في عينى ابنه ، ورآهما تقولان : « يا أبى ، لقد سئمت حياتى هنا ، ولن أحقق شيئا طالما أنا أعيش هنا . أريد أن أجد معنى لحياتى . وأعتقد أن سبب سأمى هو أنت ، بكل ما لديك من مبادىء ، وقواعد ، ونظم . اننى أريد أن أجد ذاتى » .

ففكر الأب : « لا يمكن أن أرغمه أن يكون ابنى ، فالابن المكره ليس ابنا على الاطلاق . لقد فضل على المقتنيات ، ويظن أنها سوف تجعله الرجل الذى يريد أن يكونه ، فليكن له ما يريد » .

وبينما الدموع تسيل على وجنتيه ، أعطى ابنه ما طلبه !

وأحس الشاب بالحماس : « ان المستقبل يطل على بامكانيات ضخمة . سوف أعيش حياة مختلفة تماما ، وسوف أحقق كل آمالى . سوف أكون حرا لأفعل ما أريد » .

فجمع كل شيء ، وبعد أيام قليلة سافر الى بلدة بعيدة . ولم يكن البعد بعد المسافة ، بل تباعد الرابطة بينه وبين أبيه ، فلقد اعتبر الابن أن أباه قد مات ، وأراد أن يحيا حياته بعيدا عن أبيه تماما ، وأن يستمتع بشبابه ، ومقتنياته ، وماله .

فابتدأ يحيا الحياة التى أرادها ، وبدأ يبحث عن معنى للحياة ! .

لكن بكيفية ما ، لم تكن حياته كما يريدها أن تكون. فابتدأ يستعمل بعض الأمور المشوقة المنعشة : المال ، والأصدقاء ، والموسيقا الصاخبة ... وابتدأ اعتماده على هذه الأمور يزداد من يوم الى آخر .

وتدريجيا ، بدأ يحس أنه يحيا حياة جوفاء فارغة ، وبدأ يفتش عن الطرق والوسائل التى تجعلها حياة مشبعة، وهكذا بدأ ينفق ببذخ . لم يكن يريد أن يتجه للشر ، كل

ما أراده هو أن يحيا حياة سعيدة مشبعة لها معنى • ولذلك كان على استعداد أن يستعمل كل مـا يملك لكى يحقق بغيته •

فأنفق كل مـا كان لـه : المحبة ، والعـواطف ، والصداقات •• أنفق كل شيء • أنفق الرغبات ، والشهوات والمشوقات •• وكل ما تحـويه جعبة الطبيعة البشرية •• فأصبح خاويا • وعندما أنفق كل شيء ، حدث جوع شديد في تلك الكورة ! •

وعندما تجد نفسك في حاجة الى مواهبك وارادتك ، فانك غالبا ما تكتشف أنه توجـد مجاعة في كل ناحية من نواحى حيـاتك • الارادة ؟ خـاوية ! الرغبة ؟ فـارغة ! المـواهب ؟ استنفدت ! فتبدأ تتساءل : « كيف أنفقت نفسي ؟ ! انني لم أقصد ذلك أبدا ! » •

وكلما ابتعد الابن عن الأب ابتعد عما يستهـدفه من معنى لحياته • لقد أصبح جائعا ، متعبا ، مضطربا ، وحيدا ، محطما • لقد أصبح عريانا ، مذنبا ، وبينه وبين أبيه فراغ كبير يصعب ملؤه •

ظن الشاب أنه يستطيـع أن يتكسب مـا يقتات به ، فمضي والتصق بواحد من مـلاك الأرض ، لكنه لم تكن

لديه مؤهلات ، فأخبره الرجل أنه لا يحتاج لخـدماته • وكغريق يحاول أن يجد أى شيء يمسك به ، صرخ الشاب في يأس قائلا : « أعنى ! » • فقال له الرجـل : « حسنا ، اذهب اذا الى أسفل ، الى الوادى ، واعتن بخنازيرى » •

والى هنـاك ذهب • الشاب المحترم •• والخنازير ! كانت الخنازير تتمتع بالتمرغ في الأوحال ، وبنهم تمـلأ بطونها من القاذورات • وحوله صمت مطبق •• لا موسيقا ، ولا تنعمـات ، ولا أصدقاء ، ولا مـال ، ولا بيت ، ولا أب ••• ولا حياة !

ماذا حدث ؟ لقد ترك البيت لكى يتمتع بحياته ، لكن الحياة تسخر منه ! لقد ترك البيت لكى يصبح حرا ، لكن ها هو قد أصبح أسير الظروف •

لقد كانت الخنازير تتمتـع بوجبة شهية من الديدان والقاذورات ، بينما الجوع يعضه بأنيابه القاسية • لقد كاد يفقد الوعى ، فابتدأ يكره حقيقة أنه انسان وليس خنزيرا •

لماذا نكره الحياة ؟ لأننا بعيدون عن الآب ، وبعيدا عن الآب تصبح الحياة ثقـلا نبغضه ، ونتمنى لو لم نكن من الجنس البشرى •

هل وجد الشاب نفسه أخيرا ؟ هل أصبح لحياته معنى ؟

هـل حقق آمـاله في الحياة ؟ هـل وجـد الحرية التى يتمناها ؟ ... أبدا !

وماذا تبقى له ؟ الأثمال البالية القـذرة ، والبؤس ، والوحدة .

أتعلمـون ؟ كلما ازداد مـا نقتنيه ازداد احساسنا بالفراغ . لقد اختبرت هذه الحقيقة شخصيا في حياتى ، عندئذ فكرت أن أنتحر ، ولم أكن قـد تجاوزت التاسعة عشرة بعد .

ان الرب يسوع ، الذى أعطانا قصة الابن الضال ، هو نفسه الذى قال : « من يحب نفسه (كما فعل ذلك الشاب) يهلكها » (يو ١٢ : ٢٥) .

عند هذه النقطة ، أخبرنا الرب يسوع أن هذا الابن « رجع الى نفسه » . انه لم يرجع ببساطة الى عقله ، لكن دافعا أقوى أرجعه . ذكريات المحبة .. محبة الأب .

ان المحبة هى التى أوجدت الرجاء في موقف ليس فيه رجاء . والمحبة هى التى دفعت هذا الابن أن يخطو تلك الخطوة المنطقية البسيطة ، فقال « أقـوم وأذهب الى أبى وأقول له يا أبى أخطأت » .

لقد خطط أن يخبر أباه أنه لا يستحق أن يكون ابنا

له ، فقط أحد الأجراء ، أو العبيد ، لأنه كان يعلم أنه حتى هذا كان أفضل له من الكورة البعيدة .

هل فكرتم كم كانت رحلة العودة شاقة بالنسبة لهذا الابن ؟ كان يجر قدميه بتثاقـل شديد ، وفكر في نفسه : « كيف سأواجه الموقف ؟ لقد تركت البيت غنيا ، وهنا أنا أرجع جائعا محطما ! » . وربما حـدثه الشيطان قائلا : « لا ترجـع ، فأنت لا تصلح لشيء . فلتبق هنـا حتى تمـوت » . ان صوته ملىء بالشر ، اياك أن تصغى له . تذكر أن المحبة تدعوك : « تعال ! » .

« واذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه ، فتحنن ، وركض ووقع على عنقه وقبله ». لقد أحاط ابنه الضال بذراعيه ، واحتضنه ، ولم يلتفت الى قذارته ، وأسماله ، وجراحه ، وروائحه الكريهة . وفي أحضان المحبة بدأ الابن اعترافاته. هنا أفضل مكان للتوبة في أحضان الآب السماوى : « يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا » .

لكن الأب كان بالكاد يسمـع كلمات الابن الضـال الراجع التائب ، فهو لم يكن في انتظار الكلمات ، بل فى انتظار الابن . وفي الحال أصدر الأب أوامره للخـدم :

« أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه ، واجعلوا خاتما في يده ، وحذاء في رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه ، فنأكل ونفرح ، لأن ابنى هـذا كان ميتا فعـاش ، وكان ضالا فوجد » .

الأب في هذه القصة هو الله ..

وهو ينتظرك ، ليرحب بك في البيت .

(٢)

المحبة المشفقة

(المرأة الزانية)

« ثم حضر أيضا الى الهيكل فى الصبح وجاء اليه جميع الشعب ، فجلس يعلمهم . وقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا. ولما أقاموها فى الوسط قالوا له : يا معلم ، هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ قالوا هـذا ليجربوه لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه . وأما يسوع فانحنى الى اسفل وكان يكتب باصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهـم : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر . ثم انحنى أيضا الى أسفل وكان يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا ، وكانت ضمائرهم تبكتهم ، خرجوا واحدا فواحدا مبتدئين من الشيوخ الى الآخـرين . وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط . فلما انتصب يسوع ولم ينظر احدا سوى المرأة ،

قال لها : يا امرأة ، أين هم اولئك المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد ؟ فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك ، اذهبى ولا تخطئى أيضا » (يو ٨ : ٢ – ١١) .

انتهت المحاكمة !

انها لقصة مؤلمة ، قصة المرأة التى أمسكت في زنا . ففى صباح أحد الأيام قبض عليها أناس ذوو سلطان . وأتوا بها للمحاكمة . كيف تمكنوا أن يفعلوا ذلك ؟ لسنا نعلم على وجه التحديد . لكنهم جروا هذه المرأة البائسة وأوقفوها في حضرة يسوع في الهيكل ، حيث كان يعلم الجموع المحتشدة من حوله .

كانت امرأة محطمة ، اجتماعيا ، وأدبيا ، ونفسيا . محطمة من كل وجه ، محطمة تماما . لكن أولئك الذين أحضروها ليسوع لم تكن تهمهم حالتها : فهى ملوثة بخطاياها ، مغلوبة من سقطاتها المتكررة ، ضعيفة بسبب سوء المعاملة المستمرة ، غير قادرة على أن تحب نفسها ، مذنبة وليس لها أن تتوقع الا حكم الموت !

ولم تكن السلطات الدينية تنظر الى تلك المرأة الزانية باعتبارها كائنا بشريا ، بل لقد كانت في نظرهم أقل من

ذلك بكثير ، مجرد حالة ، لديهم ما يدفعهم لتقديمها الى يسوع للمحاكمة ، لعلهم بواسطتها يوقعونه في حبائلهم .

وهناك وقفت .. صامتة ، وحيدة . فتوقف يسوع عن التعليم ، وكل أولئك الذين كانوا يصغون لتعاليمه ثبتوا أبصارهم فيها ، فتجمدت أمامهم خوفا وخجلا .

وقطع الفريسيون الصمت : « يا معلم ، هنا حالة أمرنا موسى في الناموس بشأنها أن مثل هذه ترجم ، فماذا تقول أنت ؟ » . لقد عرضوا الحالة بدقة ، وأسسوا كلامهم وحكمهم على الناموس . هنا الدين : القاضي ، الديان ، بغير شعور ، ولا شفقة . نعم ، لكن بلا حياة أيضا . لقد كان لأولئك القادة الدينيين السلطان أن يقبضوا على من يخطىء ، ويدينوه ، لكن لم يكونوا يملكون وسيلة لاصلاح الحياة المحطمة واعادتها صحيحة مرة أخرى .

والآن ، ها هم ينتظرون اجابة المعلم ، لكنه بدلا من أن يجيبهم انحنى الى أسفل وبدأ يكتب بأصبعه على الأرض ، في الرمال . ترى لماذا فعل ذلك ؟ لست أعلم على وجه التحديد . لكنه الفادى الشفوق ، الذى أعطانا قصة الابن الضال ، والذى علق بعد ذلك على صليب الجلجثة يفيض منه نبع الحب دما وماء وعرقا . لقد نظر الى أسفل لأنه لم يكن يريد أن يزيد من جرح المرأة

المسكينة البائسة . كان قلبها قد تحطم ، ولذلك حرص يسوع ألا يزيده تحطيما ، فانحنى الى أسفل وبدأ يكتب .

يا له من مخلص عجيب ! انه لا يزيد من مذنوبية المذنب ، أكثر مما هو عليه من قبل . لكن هذا لا يكفى ، فهدفه هو أن يخلص المرأة لا أن يهدمها .

وبتبرم ونفاد صبر بدأ القادة الدينيون يطالبون بالرد « ما هو حكمك ؟ » . فانتصب يسوع ، وبرقته المعهودة، ممزوجة بحزمه الالهى ، نظر اليهم وقال : « من هو منكم بلا خطية ، ومن لم يشته أبدا أن يفعل نفس هذه الخطية ، فليتقدم ويضربها بحجر ، فله الحق أن يفعل ذلك » . لقد وضع أولئك القادة كل حمل الناموس على ما يصدر عن الانسان من أفعال ، أما يسوع فلم يكن يهتم بأفعال الانسان في الخارج بقدر اهتمامه بجوهر الانسان الأدبى في الداخل .

وللمرة الثانية انحنى يسوع الى أسفل وبدأ يكتب على الرمال . وربما ، في هذه المرة ، أراد أن يحول نظره عن الكتبة والفريسيين لكى لا يسبب لهم خجلا . ففى نظر يسوع كانت المرأة المتهمة في نفس موقف من قدموها اليه ، والفرق الوحيد بينهما هو أن المرأة كانت قريبة من الحصول على التجديد والخلاص بينما متهموها كانوا لا يزالون بعيدين يتمسكون ببرهم الذاتى .

وابتدأوا ، واحد بعد الآخر ، من الشيوخ الى الشباب ، ينصرفون من حضرة النور الكامل . وربما لم يبق في المشهد سوى أولئك الذين جاءوا أصلا ليستمعوا الى تعاليم يسوع . وبقيت المرأة واقفة في الوسط . وبدأ يسوع علاجه لهده المرأة الساقطة . لقد أنقذها من أيدى المشتكين عليها ، وكان في سلطانه أن يدينها ، لكنه منحها الغفران والعفو .

فلما رفع رأسه مرة ثانية ، رأى المرأة تقف أمامه وحدها . هل تستطيع أن تتخيل هذا المشهد ؟ ففى حضرة الطهر الكامل كانت تقف هذه الانسانة التى وصلت الى أحط درجات الرذيلة والنجاسة . ولم يجتمع من قبل مثل هذين النقيضين : ابن الله ، وهذه المرأة الكسيرة القلب ! ونحن ، ما لم نكن فريسيين في تفكيرنا ، فلابد أن نرى أنفسنا ممثلين في هذه المرأة .

فخاطبها يسوع قائلا : « يا امرأة » .

حتى تلك اللحظة لم تكن قد نوديت من قبل بهذا النداء الذى يدل على الاحترام . وفجأة أعيدت الى الحالة الانسانية مرة أخرى ، فكلمة « امرأة » التى استخدمها المسيح تعنى « سيدة »، وهى نفس الكلمة التى خاطب بها يسوع أمه في عرس قانا الجليل (يو ٢:٤). لقد وجه نفس

كلمة التكريم هــذه الى تلك الشخصية المسكينة • لقـد أرادها أن تعرف أنها في نظره نفس بشرية ثمينة غالية •

« يا امرأة ! أين هم أولئك المشتكون عليك ؟ أما دانك أحد ؟ » • لقد بدأ دفء الحياة يعود اليها مرة أخرى • وان كان يسوع قد قبلها ، فان قبـوله لها أعطاها الشجاعة أن تقبل نفسها في نور التوبة • فالتـوبة المسيحية لا تبـدأ بشعورنا أننا تحت الدينونة ، فالدينونة تقود الى اليأس ، أما المحبة فهى التى تقود الى التوبة • ولذلك فقد وجدت في نفسها الشجاعة أن تجيبه قائلة : « لا أحد يا سيد »•

يا لها من كلمة جميـلة ! « يا سيد » ! ألا ترى أنهـا باستعمالها هــذه الكلمة كانت تعبر عن شهادتها ؟ « أنت سيد حياتى ، وأنا طالبة رحمة ، مرتجية نعمة • وأنا أقف هنا فقط لأنك توليت قضيتى ، فأنت سيدى » •

وفي صمته لبرهة قصيرة أعطاها الفرصة أن ترى عيون المحبة الفادية ، ثم قـال : « ولا أنا أدينك »• لقـد كانت تتحدث الى ذاك الذى بعد قليل سوف يموت على صليب الجلجثة ، ذاك الذى لم يدنها لأنه كان مزمعا أن يحمـل دينونتها بنفسه • ثم استطرد قائلا :« اذهبى ، ولا تخطئى أيضا » •

لقد أتت غير متوقعة اطلاقا أن لها بقية في الحياة ، أتت متوقعة المـوت ، لكن بدلا من المـوت ها هى تخرج الى الحرية ! ثم يضاف الى ذلك هذه الأخبار الطيبة :« لا تخطئى أيضا »• هل تستطيع أن تتخيل وقع هــذه الكلمات على مسامع تلك المرأة ! لقـد جعلتها تحس بذبذبات الحيـاة تسرى في كيانها ، وبدأت تدرك أنها قد تحررت تماما من سلطان الشر ، وأنها قد انتقلت من حياة العار والازدراء الى حياة جديدة تهبها الغفران المجانى •

لا أعلم ماذا كانت حالتها عندما خرجت من الهيكل • ربما كانت تقفز فرحـا وتطفر في سعـادة • لـم يكن في استطاعتها أن تمسك نفسها من أن تخبر الجميـع بقصتها وبحب يسوع لها ، وبالحب ليسوع الذى غمر كيانها • لم تكن تستطيع أن تفعل سوى ذلك •

اننا لا نستطيع أن نحد حماس نفس نالت الغفران ، فتحررت •

(٣)

المحبة الشافية

(الأبرص)

« فهو انسان أبرص . انه نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته . ان ضربته فى رأسه . والأبرص الذى فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ، ورأسه يكون مكشوفا ، ويغطى شاربيه ، وينادى نجس نجس . كل الأيام التى تكون الضربة فيه يكون نجسا . انه نجس . يقيم وحده . خارج المحلة يكون مقامه » (لاويين ١٣ : ٤٤ – ٤٦)

« لكن ان كان البرص قد أفرخ فى الجلد وغطى البرص كل جلد المضروب من رأسه الى قدميه حسب كل ما تراه عينا الكاهن ، ورأى الكاهن واذا البرص قد غطى كل جسمه يحكم بطهارة المضروب . كله قد أبيض . انه طاهر » (لاويين ١٣ : ١٢ و ١٣)

« هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره : يؤتى به الى الكاهن ، ويخرج الكاهن الى خارج المحلة . فان رأى الكاهن واذا ضربة

البرص قد برئت من الأبرص ، يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا . ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى اناء خزف على ماء حى . أما العصفور الحى فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحى فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى ، وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات ، فيطهره ، ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء »

(لاويين ١٤ : ٢ – ٧)

طاهر الى الأبد ..

• أحد أفراد شعب اسرائيل المختار أصبح أبرص ! هذه هى الصورة المرعبة التى يقدمها لنا الأصحاح الثالث عشر من سفر اللاويين . انه ليس وثنيا ، ولا أمميا ، لكنه واحد من شعب الله ، ومع ذلك فقد أصابه هذا المرض الفظيع العديم الشفاء ! .

لكن البرص في العهد القديم هو نوع من الخطية ، وهذا يعرفنا أنه وسط شعب الله ، وسط أبناء الكنائس في هذه الأيام ، وحتى أنا .. وأنت ، نحن معرضون لهذا المرض . ويقول الناموس :« هو انسان أبرص . انه

نجس ، فيحكم الكاهن بنجاسته . ان ضربته في رأسه » .
وهكذا فانه في أغلب الحالات يبدأ المرض في أفكار عقل الانسان ، وبعد ذلك تبدأ آثار المرض تظهر تدريجيا ، « والأبرص الذى فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ... » . نعم ، فالخطية تمزق ثياب البر عن الانسان . انها تمزق ما تتغطى به : النعمة المسيحية ، والحياة ، والمحبة ، والأمانة ...

ان ثياب الأبرص تمزق ، فيصبح شبه عار ، يسير في خرق ممزقة . استمع الى آدم المختبىء في الجنة وهو يقول :« سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت » (تك ٣:١٠) . ما الذى جعله عريان ؟ ما الذى مزق عنه المجد ؟ انها الخطية .

ليس ذلك فقط ، بل ان « رأسه يكون مكشوفا » ، أو حليقا . ان الخطية تزيل المجد من فوق رؤوس أولاد وبنات الله ، فلا يبقى شيء ، بل يفقدون الكل .

« ويغطى شاربيه » . ومن يغطى شاربيه لا يستطيع أن يفتح فمه لينطق برسالة أو شهادة . لا يستطيع أن يسبح الله ، فشفتاه مغطاة . ان الخطية تحرم المؤمن من التسبيح ، وتنزع منه الشهادة التى له كابن لله .

وماذا أيضا ؟ ان هذا المرض اللعين يجعل من الابن

المختار ضمن شعب الله شيئا آخر ، فيعطيه صفة جديدة مخيفة ، فيصبح نجسا ، ويكون عليه أن ينادى ويصرخ باستمرار : « نجس ! نجس ! » . يا لها من صورة مرعبة ! ملابس ممزقة .. ورأس محلوقة .. وشارب مغطى .. وصراخ تحذير ضد النجاسة ! هل هذه كلمات غريبة ؟ أليست هذه الأمور بعينها هى اختبار الكثيرين منا في الحياة ؟

فعندما يتحدث من يعيش في الخطية ، يسمع صوتا خفيفا داخليا يقول له : « أنت مذنب » . وعندما يمشي في الشارع يحدثه نفس الصوت قائلا :« نجس » . وعندما يقرأ الكتاب المقدس يقول له : « نجس » . انه صوت ملح مزعج ، لذلك فليس بعجيب أن الكثيرين يصابون بالجنون .

وهناك ما هو أكثر ، فيجب عليه أن « يقيم وحده » . الوحدة ! هل أنت تلوم ظروفك بالنسبة للوحدة التى تعانى منها ؟ ان الانسان الذى يصاب بالبرص كان يقطع تماما من الشركة مع شعب الله . كان يقيم وحده .

لقد بدأت الوحدة في الجنة ، عندما ذهب آدم واختبأ فحرم نفسه من عشرة الله ، ومن الشركة مع زوجته حواء . ورغم أن الرجل وامرأته كانا مختبئين فقد كانا منفصلين . آدم كان وحيدا ، وحواء أيضا كانت وحيدة . لقد دب

الفتور بينهما • وأنت ، هل لم تعد تسر بالشركة مع شعب الله ؟

« خارج المحلة يكون مقامه » في الخارج تماما • أتعرف قد تكون في الكنيسة ، وسط جموع العابدين ، مشتركا في مائدة الرب ، تحمل بين يديك كأس البركة ، ورغم كل هذا تكون في الخارج ! يا له من مكان مرعب ! خارج المحلة ! لا يوجد أحد هناك • لا شركة مع شعب الله ، ولا شركة مع الله نفسه • يا له من مكان موحش مرعب لأى انسان !

أين تستطيع أن تجد صورة أبشع من هذه ؟ ان كانت الخطية تستطيع أن تفعل كل هذا فهى أمر خطير جدا • وطالما هناك عدم طهارة في القلب ، فان بذور الأفكار الشريرة ، والحسد المحرق سوف تحطم الشركة ، وتجعلنا نحتقر الآخرين ، وتفصلنا عن القلوب المحبة ، وتفرق بين الأصدقاء ، وتحطم البيوت •

لم يكن الأمر مجرد أنه خرج الى خارج ، لكن كان عليه أن يبقى في الخارج سواء أراد أو لم يرد ، وطالما هو مريض بهذا المرض الخطير فالناموس يحكم عليه أن يبقى في الخارج • والى متى سوف يبقى هكذا ؟ « كل الأيام التى تكون الضربة فيه » • وكم هو طول هذه المدة ؟ طوال الحياة ؟ ربما •

طالما أن صليب المسيح لم يدخل بعد الى حياة الخاطىء اليائسة فهى تبقى نجسة كما هى • الى متى ؟ طوال مدة وجود الداء • قد أعظ ، وأدرس الكتاب ، وقد يعتبرنى الكثيرون انسانا ممتازا ، ومتكلما مبدعا ، لكن طالما بقى الداء مختبئا في داخل الحياة فأنا انسان نجس ؟

لكن في لاويين ١٤ نجد النعمة المتفاضلة ، فهذه « تكون شريعة الأبرص يوم طهره »• فكما أنه توجد شريعة للأبرص ، التى تشبه كثيرا ناموس الخطية والموت، هكذا فانه توجد شريعة أخرى للأبرص يوم طهره ، تشبه ناموس روح المسيح ،« لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » (رو ٨:٢)•

« ان كان البرص قد أفرخ في الجلد ••• ورأى الكاهن •• يحكم بطهارة المضروب »• انه يرى البرص وقد غطى كل جلد الأبرص من رأسه الى قدميه ، ليس شيئا خفيا ، فيحكم بأنه طاهر • لماذا أصبح طاهرا ، وليس أكثر نجاسة ؟ عندما تتعرض الخطية لنور الجلجثة ، عندما تنتزع من الداخل وتوضع تحت قصاص نور الله ، حينئذ يحكم بأن الأبرص قد طهر • فالجلجثة هى المكان الذى فتح فيه قلب الله ، ولن تتمتع بالبركة ما لم ندع الصليب يشق قلوبنا أولا ويفتحها •

ويبدأ تطبيق هـذه الشريعة الجـديدة في يوم تطهير الأبرص ، « يؤتى به الى الكاهن ... » . انه لا يستطيع أن يأتى من ذاته ، لكن يجب أن يؤتى به . من الذى يأتى به ؟ من الذى يستطيع أن يذهب الى هناك ولا يحرم ، هل أحد الرعاة ؟ هل يستطيع ملاك أن يذهب الى حيث يوجد النجسون ؟ انه الروح القدس وحـده ، الشفيع الـذى يستطيع أن يأتى بالانسان النجس الى الكاهن . انه يلمس من لا يمكن لمسه ، ويأتى بمن لا يستطيـع الاتيان . انه لا يأتى به الى العالم المنتقد ، ولا حتى الى الكنيسة ، بل الى الكاهن .

ومن هـو الكاهن ؟ انه الرب يسوع المسيح ، الذى على صليب الجلجثة صـار كاهنا ، لك ، ولى . عنـدئذ « يخرج الكاهن الى خارج المحلة » . فحالما يأتى روح الله بانسان الى الصليب ، يسرع الرب يسوع لملاقاة الانسان المسكين . الكاهن ، في ثياب بره الجميلة ، في محبته ونعمته ورحمته الكاملة ، يخرج خـارج المحلة ، وهنـاك يلتقى بالأبرص ، عند مكان يدعى « الجلجثة » .

وعندئذ « يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا . ويأمر الكاهن أن يذبح الواحد على ماء حى .. » . لقد اختلط الدم بالماء

« لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم ومـاء » (يو ١٩ : ٣٤) . لدينا الكثير من أنهار المـاء الحى ، أما للأبرص فلا يفيد الا دم المسيح .

لنقف بجوار الأبرص . انه يرى الكاهن وهـو يذبح العصفور على ماء حى ، ثم وهو يغمس العصفور الحى مع خشب الأرز والقرمز والزوفا في الدم ، ويحس وكأن الدم قد رش عليه . ويتكلم الدم قائلا : « لقد طهرت » ، وبذلك يصبح الأبرص انسانا طـاهرا . انه بالكاد يستطيـع أن يصدق . انه لم يتطهر بواسطة أى عمل قام به هـو ، بل بواسطة ما فعله الكاهن من أجله .

ثم يطلق الكاهن العصفور الحى على وجه الصحراء . اننى أحب أن أقف هنـاك وأتذكر القـول الذى ورد في الرسالة الى العبرانيين : « الـه السلام الـذى أقام من الأموات ... بدم العهد الأبدى » (عب ١٣ : ٢٠) .

اننى أرقب الطير وهو يطير مرتفعا الى فوق ، وأرى يسوع . انه يقوم من الموت ، بدم العهد الأبدى . انه يطير بأجنحة حمراء ليقول للآب : « هذا الأبرص قد طهر . لأن الدم قـد سفك » . انه دم المخلص الحى . لقـد أصبح الأبرص انسانا جديدا ، ابنا جديدا . لذلك نسمعه يمجد الله .

فان صرخت كل الشياطين وقالت :« انك لازلت نجسا »، فحول عينيك وانظر الى كاهنك . انظره وهو يتقدم ليقف أمام الله لأجلك ، واسمع صوت الدم وهو يهمس اليك قائلا : « أنت طاهر » .

ودعنى أخبرك أننى مدين بما أنا عليه الآن لهذه الحقيقة المباركة . ففى كل مرة أنظر الى أعلى أرى ربى العزيز يسوع يرتفع الى الآب بيدين محمرتين بدم الجروح يتقدم الى الآب لأجلك ولأجلى .

لقد تطهرت ، لأنه مات ، وقام ثانية ، وهو الآن حى لأجلى . ان قلب وجوهر المسيحية هو دم يسوع . قال سبرجن :« ان استبعدت الدم من المسيحية ماتت » . أما شارلس وسلى فقال :

لقد حطم قوة الخطية ،

وأطلق الأسير حرا ،

ودمه يستطيع أن يطهر أشر الخطاة ،

دمه المسفوك من أجلى .

(٤)

المحبة المنقذة

(يهوشع)

« فرفعت عينى ونظرت واذا رجل وبيده حبل قياس ، فقلت الى اين انت ذاهب ؟ فقال لى لأقيس اورشليم لأرى كم عرضها وكم طولها . واذا بالملاك الذى كلمنى قد خرج ، وخرج ملاك آخر للقائه ، فقال له اجر وكلم هذا الغلام قائلا : كالأعراء تسكن اورشليم من كثرة الناس والبهائم فيها ، وأنا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها وأكون مجدا فى وسطها » (زك ٢ : ١ – ٥)

« ترنمى وافرحى يا بنت صهيون لأنى هانذا آتى واسكن فى وسطك يقول الرب ، فيتصل امم كثيرة بالرب فى ذلك اليوم ويكونون لى شعبا ، فاسكن فى وسطك فتعلمين ان رب الجنود قد أرسلنى اليك . والرب يرث يهوذا نصيبه فى الأرض المقدسة ويختار اورشليم بعد . اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه »

(زك ٢ : ١٠ – ١٣)

« وارانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب ، والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه . فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان ، لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم . افليس هذا شعلة منتشلة من النار ؟ وكان يهوشع لابسا ثيابا قذرة وواقفا قدام الملاك ، فاجاب وكلم الواقفين قدامه قائلا انزعوا عنه الثياب القذرة . وقال له انظر ، قد أذهبت عنك اثمك والبسك ثيابا مزخرفة ، فقلت ليضعوا على رأسه عمامة طاهرة ، فوضعوا على رأسه العمامة الطاهرة والبسوه ثيابا ، وملاك الرب واقف »

(زك ٣ : ١ ــ ٥)

الكاهن الخجل !

كانت قلوب شعب الرب كسيرة ، وحالتهم ميئوسا منها . كان الكثيرون منهم لا يزالون في السبى ، والأعداء يضغطون عليهم بشدة حتى يكفوا عن بناء الهيكل وأورشليم . فابتدأ الرب يتكلم مستخدما زكريا النبى ، معلنا لهم أنه سوف يحيى أورشليم ، ووعد أن يجعلها كقرية بغير حوائط ، فيأتيها الناس من كل اتجاه ، و « كالأعراء تسكن أورشليم من كثرة الناس والبهائم فيها » .

لكن كيف يكون هذا ؟ « ترنمى وافرحى يا ابنة صهيون لأنى هأنذا آتى وأسكن في وسطك يقول الرب » . لقد أتى الرب ، وهو مزمع أن يسكن في الوسط . ليس بجانب أورشليم ، ولا بالقرب منها ، لكن في وسطها . لقد اختار الرب أن يضع عرشه في وسطها ، وعندما يكون الرب في الوسط فان حياة عميقة قوية تنبع وتصل الى كل الأركان .

عندما يكون عرش الرب في وسطنا ، فاننا لا نفرح ونترنم فقط ، لكننا أيضا نسمع أمره : « اسكتوا يا كل البشر قدام الرب » . ان أزمنة النهضة ليست كلها هتافا وتهليلا وفرحا ، فان خوف الله يستقر على الناس ، فيرتعبون قدامه .

كان يهوشع ذا منصب هام في أورشليم . ربما كان أسقفا أو رئيس كهنة . وبالطبع كان يسره أن الرب سوف يحيى أورشليم . لقد وعد الرب نفسه بذلك ، وهو لا يمكن أن يكذب أبدا ، ولذلك فقد كان يهوشع ينتظر باشتياق عمل الرب . لكن يا للعجب ! فقد تبين أن أول شخص في حاجة الى النهضة هو يهوشع نفسه ! يهوشع الكاهن ! يهوشع الراعى !

« وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب ». ان زكريا عندما أخبرنا بالقصة لم يخف اسم يهوشع لكى لا يصيبه الخجل ، كلا ، فليست هذه هى الكيفية التى يعمل بها روح الله . انه دقيق ومحدد للغاية . ففى أوقات النهضات لا مجال لاخفاء حقيقة الأمر الواقع . سوف يشير اليك روح الله من وسط الجموع ، ويتعامل معك بالاسم .

كان يهوشع واقفا قدام الرب . مكان آمن جدا للوقوف ـ أليس كذلك ؟ لكن ما تلا ذلك لم يكن أمرا سهلا بالنسبة له ، رغم المكان الذى هو واقف فيه ! فعن يمينه كان الشيطان واقفا ليقاومه (أو ليتهمه). اياك أن تظن أنك عندما تقف في حضرة الله فان الشيطان لن يقف بجوارك هناك ليقدم ضدك الاتهام .

ولم ينطق يهوشع بكلمة واحدة يدافع بها عن نفسه . وبينما اتهامات الشيطان له تدخل أذنيه كالماء المنهمر لم يكن يملك كلمة واحدة يرد بها عليه ، فوقف صامتا تماما . « فقال الرب للشيطان : لينتهرك الرب يا شيطان . لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم . أفليس هذا (خادمى يهوشع ، رئيس الكهنة) شعلة منتشلة من النار ؟ » .

ما أجمل أن نستمع الى الكيفية التى بها يدافع الرب عن أولاده ! لقد دافع عن يهوشع ، لذا فلتدع الرب يدافع عنك أيضا . عندما تقف أمامه في فشل وخجل لا تحاول أن تتولى قضيتك بنفسك ، دع الرب يتولاها نيابة عنك .

« وكان يهوشع لابسا ثيابا قذرة وواقفا قدام الملاك ». كاهن في ثياب قذرة ؟! وأمام الرب ؟! ربما كان الموقف يبدو محتملا بعض الشيء لو أن يهوشع كان يلبس الثياب القذرة في مكان آخر ، لكنه كان يقف في أشعة نور الطهارة الكاملة ! ربما تظن أن حالتك حسنة جدا ... حتى تقف في حضرة ذاك الذى هو النقاوة بعينها ، فنور الله النقى يخترق الى داخل الانسان . تستطيع أن تحتفظ بالمظهر الخارجى للقداسة أمام الناس ، الى أن تقف في نور قداسة الله ، حينئذ فانك في الحال سوف تبحث عن مكان لتختبىء فيه ، ولن تجد . كل الأقنعة التى تستتر بها سوف تسقط ، وسوف تختفى الابتسامة الجوفاء التى ترتسم على وجهك .

والنهضة تعنى أن تنكشف ذواتنا على حقيقتها ، فلا توجد مخفيات في حضرة الله . ربما قال يهوشع في نفسه : « لا يجب أن تكون هذه حالتى ، فثيابى يجب أن تكون بيضاء ناصعة مثله ، لكنها قذرة ! قذرة لدرجة

تخجلنى فلا أستطيع أن أنطق بكلمة واحدة في حضرته ». لكن هناك أمرا مشجعا يا يهوشع ، فالرب نفسه يتولى قضيتك ، ولم يسبق له قط أن خسر قضية ما ، فله طرقه ووسائله التى بها يشبع احتياجات عبيده .

« فأجاب (الملاك) وكلم الواقفين قدامه قائلا انزعوا عنه الثياب القذرة . وقال له انظر ، قد أذهبت عنك اثمك وألبستك ثيابا مزخرفة ». لقد تحدث الملاك الى يهوشع قائلا : انك لست فيما بعد مسئولا عن خطيتك ، فهذه قد أصبحت الآن في دائرة مسئولية النعمة . عندما تظهر النعمة في الصورة ، يتحرر المذنبون من احساسهم الفظيع الطاحن بالذنب ، لأنهم ينظرون ابن الله وهو يحمل خطيتهم على كتفيه نيابة عنهم .

ليس هذا بالأمر السهل الهين ، لكنى أعرف أكثر من واحد من الرعاة الذين وقفوا أمام رعيتهم ليعترفوا بأنهم يعيشون عيشة غير نقية . وان كنت تظن أن هذا الاعتراف هو طريق سهل للحصول على احترام الناس ، فاذا أنت لا تعرف معنى الموت . وعندما يعترف أحد الرعاة بحالته هذه فغالبا ما يكون يواجه مشكلة كبيرة ، لكنه لن يحصل على الحياة الجديدة الا من خلال اختبار الموت هذا .

وفي الأسبوع التالى ، عندما تقابل هذا الراعى ، سوف تجد الناس ينحنون اجلالا لراعيهم المقتدر . لقد كان ميتا ، والآن ها هو قد قام من الموت . لقد أصبح راعيا جديدا ، كلماته لها سلطان ، وله قلب ملىء بالمحبة . لقد أصبح انسانا جديدا .

وهناك راع آخر أخبرنى بما حدث معه . فبينما هو في انتظار وصول زوجين لديهما مشاكل يريدان أن يحصلا على نصيحته بشأنها ، نشب شجار بينه وبين زوجته ، واذا بقرع على الباب ! فأشار الراعى لزوجته بأن تصمت ، وجرت الزوجة بسرعة الى المطبخ ، بينما فتح هو الباب للزوجين ، وأدخلهما الى غرفة مكتبه . فجلسا هناك وهو يقدم لهما النصيحة عن الكيفية التى يعيشان بها في سلام أحدهما مع الآخر . وفي داخله كان بائسا . وجاءت زوجته ووقفت خلف الباب تستمع اليه وهو يقرأ لهما فصلا كتابيا ويصلى معهما .

وعندما ودع الراعى الزوجين وعاد ثانية الى المنزل ، نظرت اليه زوجته وقالت له :« اذا لقد فعلتها !» . فصمت الراعى لفترة غير قادر على الكلام ، وتملكه غضب شديد ، وصرخ في زوجته قائلا :« انك لا تتعاونين

معى !»• يا للزوجة المسكينة ! كيف تستطيع أن تتعاون معه ؟ ومن أين تبدأ ؟•

وعندما روى الراعى قصته هذه لنا قال :« كان ذلك صباحا فظيعا بالنسبة لى • لقد أحسست أننى رجل مخادع ، فأسرعت الى الغابة المجاورة ، وهناك جثوت وقلت :« يارب ، ما لم تفعل معى شيئا فسوف أضطر أن أترك الخدمة • فهذه زوجتى تتحدانى ، ونحن نتشاجر ، بينما يأتينى الناس طالبين نصيحتى ! »•

ولقد أسرع الرب لمعونة هذا الراعى العزيز • لقد اعترف أمام الرب بتصرفه الخاطىء مع زوجته ، وقبل غفران نعمة الله في موت يسوع المسيح ، ونال في ضميره تأكيد الروح القدس له أنه قد نال الغفران •

ثم قام من على ركبتيه تاركا حمله عند قدمى الصليب وذهب للتو ليشترك مع زوجته في أفراح الحرية الجديدة• لم يكن بحاجة أن يوجه لها أية اتهامات أخرى ، فلقد عرف في محضر الله أن اللوم يقع عليه هو • والآن ها هو يتمتع بحلاوة غفران المسيح ، ولذلك فها هو يطلب من زوجته أن تغفر له •

وفيما بعد استطاع الراعى أن يشارك الزوجين اللذين

طلبا نصيحته فيما عمله المسيح داخل قلبه ، وما عمله بينه وبين زوجته • وقد استخدم الروح القدس هذه الشهادة لقيادة هذين الزوجين ليختبرا سلام ومحبة المسيح •

عندما تتحرر نفس في حضرة المسيح فانها تصبح وسيلة يستخدمها الروح القدس في قيادة آخرين ليتحرروا من عبودية الخطية ويختبروا حرية أولاد الله • أى « يهوشع » يحس بذنبه فيتمتع بغفران الله ، لأنه « فى ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة » (زك ١:١٣) •

هذه هى الرسالة الضرورية الايجابية لأوقات النهضات • جميعنا نريد أن نرى نهضة في كنائسنا ، ونريد أن نرى الناس يتقاطرون الى الكنائس • ويهوشع هنا هو الراعى الذى سوف يستخدمه الرب سبب بركة للناس في النهضة ، ولذلك فان الله يتعامل معه أولا • وهذا هو الترتيب الصحيح ، في العهد القديم كما في العهد الجديد أيضا •

ان كان بطرس مزمعا أن يعظ لليهود في أورشليم فيتوبوا ، فيجب أن ينكسر هو أولا ، ويبكى بدموع مريرة خارج مكان محاكمة يسوع • وان كان يشوع

يريد أن يرى أسوار أريحا تسقط ، فينبغى أن يسقط هو أولا على وجهه أمام مــلاك الرب (يش ١٣:٥ ـ ١٥)، وبعد ذلك يأتى دور أسوار أريحا •

أنت وأنا نقف في لمعان نور مجد الله الأبدي ، ونور ذلك الاله العجيب الطاهر الذى نخدمه يشع على وعليك، فنرى أنفسنا على حقيقتها • هنا يخجل الخادم ، لكن من هنا تبدأ البركة • فان كنا نود أن تشهــد الكنيسة نهضة وتنال حياة جديدة ويتقاطر اليها الناس حتى نضطر الى توسيع المكان ، فلنعلم أن هذا كله يبدأ أولا بالكاهن أو الراعى ، فينبغى أن يختبر تغييرا داخليا أولا • فالخطية يجب أن تزال أولا • نعم ، وبالأخص خطية الراعى •

(٥)

المحبة المصالحة

(يعقوب وعيسو)

وحـــدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الاكبر وقـــال له يا ابنى ، فقـــال هانذا ، فقال اننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى ، فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج الى البرية وتصيد لى صيدا ، واصنع لى أطعمة كما أحب واتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت » .

« وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التى عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها • فدخل الى ابيه وقـــال يا ابى ، فقـــال هانذا ، من انت يا ابنى ، فقال يعقوب لأبيه انا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى ، قم اجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك » .

« فقال اسحق ليعقوب تقدم لاجسك يا ابنى ، اانت هو عيسو ابنى ام لا . فتقدم يعقوب الى اسحق ابيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو . ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو اخيه . فباركه » .

« فحقد عيسو على يعقوب من اجل البركة التى باركه بها ابوه . وقال عيسو فى قلبه قربت ايام مناحة ابى ، فاقتل يعقوب أخى . فاخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر . فارسلت ودعت ابنها الأصغر وقالت له هوذا عيسو اخوك متسل من جهتك بانه يقتلك ، فالآن اسمع لقولى وقم اهرب الى اخى لابان الى حاران ، واقم عنده اياما قليلة حتى يرتد سخط اخيك » .

« واما يعقوب فمضى فى طريقه ولاقاه ملائكة الله » .

« وارسل يعقوب رسلا قدامه الى عيسو اخيه الى ارض سعير بلاد ادوم » .

« فرجع الرسل الى يعقوب قائلين أتينا الى أخيك الى عيسو، وهو أيضا قادم للقائك

واربع مئة رجل معه . فخاف يعقوب جدا وضاق به الأمر . فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال الى جيشين . وقال ان جاء عيسو الى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقى ناجيا . وقال يعقوب يا اله أبى ابراهيم واله أبى اسحق ، الرب الذى قال لى ارجع الى أرضك والى عشيرتك فاحسن اليك . صغير انا عن جميع الطافك وجميع الأمانة التى صنعت الى عبدك ، فانى بعصاى عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين . نجنى من يد اخى عيسو لانى خائف منه ان يأتى ويضربنى الأم مع البنين » .
« وبات هناك تلك الليلة واخذ مما أتى بيده هدية لعيسو اخيه » .

(تك ٢٧ : ١ — ٤ و ١٥ — ١٩ و ٢١ — ٢٣ و ٤١ — ٤٤ و ٢٨ : ٥ و ٣١ : ٣ و١٧ و١٨ و٤١ . تك ٣٢ : ١ و٣ و٦ — ١١ و ١٣ و ١٦ — ١٨ و ٢٠ و ٢١) .

« فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال

له ما اسمك ، فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت » .

« واشرقت له الشمس اذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه » .

« ورفع يعقوب عينيه ونظر واذا عيسو مقبل ومعه أربع مئة رجل ، فقسم الأولاد على ليئة وعلى راحيل وعلى الجاريتين . ووضع الجاريتين وأولادهما أولا ، وليئة وأولادها وراءهم ، وراحيل ويوسف أخيرا . وأما هو فاجتاز قدامهم وسجد الى الأرض سبع مرات حتى اقترب الى أخيه . فركض عيسو للقائه ووقع على عنقه وقبله . وبكيا » .

« فقال يعقوب لا ، ان وجدت نعمة فى عينيك تأخذ هديتى من يدى ، لأنى رايت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت على . خذ بركتى التى آتى بها اليك ، لأن الله قد أنعم على ولى كل شيء . وألح عليه فأخذ » .

(تك ٣٢ : ٢٤ ـ ٢٨ و ٣١ ، ٣٣ : ١ ـ ٤ و ١٠ و ١١)

من انت يا ابنى ؟

« من أنت ، يا ابنى ؟ » . كان هذا هو سؤال الرجل الكفيف العجوز ، اسحق . فأجاب يعقوب قائلا : « أنا عيسو بكرك . قد فعلت كما كلمتنى .. لكى تباركنى » .

كان قلب يعقوب مليئا بالشوق الى البركة . شوق ليس من صنع يعقوب ، بل من الله الذى اختاره بادىء ذى بدء . ان الاشتياقات الروحية التى في قلبك ليست من صنعك ، لكن الله هو الذى أوجدها فيك . ويعقوب كان يتوق الى البركة ، لكن الظروف لم تكن مواتية .

ففى المكان الأول كان أمرا غريبا أن يختار الله يعقوب ، فاسمه يعنى « الغاش » ، « المتعقب » ، « الخاطىء »، وهذه كانت حقيقته تماما . لكن الله اختاره ليكون له ، أبا لشعبه ! ولم يكن يعقوب يدرك ارادة الله من جهته ، لذلك نجده يحاول أن يسرق البركة التى يتمناها ، فارتدى ملابس أخيه عيسو ، التى ليست له ، ووضع جلود معزى على يديه وعنقه !.

لماذا ؟ لأنه لم يكن يريد أن يكون يعقوب ، بل عيسو . كان يريد أن يتهرب من اسمه ، وصفته ، ونفسه ومما يعرفه الله عنه . واليوم يوجد كثيرون كيعقوب ،

يريدون أن يظهروا كمسيحيين ممتازين ، فيرتدون ملابس فاخرة ليست لهم !.

وأحضر يعقوب الأطعمة والخبز الى أبيه ،« وقال يا أبي ». فقال اسحق :« هأنذا ، من أنت يا ابني ؟ »، وفي كلمات أخرى كأنه يقول :« أنا أعرفك يا ابني . من أنت ؟ » !. كان هذا السؤال غير ضروري ، فلم يكن لاسحاق سوى ابنين ، لذا فقد كان يعرف من الذي كلمه. لكن الله كان يستخدم اسحاق لكي يجعل يعقوب يواجه هذا السؤال الهام المتعلق بحقيقة شخصيته .

« من أنت ؟ ». هل أنت مستعد أن تذكر من أنت ؟. يقول الله :« يا ابني ، أنا أعرفك . لكن من تقول انك تكون ؟ ». عليك أن تقدم هذا التعريف ، بل هذا الاعتراف ، بنفسك . عليك أن تعرف حقيقتك ، ان كنت ترغب حقا في نوال البركة .

وأجاب يعقوب أباه قائلا :« أنا عيسو ». يا للأسف ! يا للخطأ ! استمع الى هذا الادعاء المؤسف :« أنا لست يعقوب . أنا لست مخادعا غشاشا . أنا مسيحي مؤمن من الطراز الأول . أنا أنتمي الى الكنيسة . لقد تربيت بواسطة والدين ممتازين . أنا عيسو ! » .

وتصلي .. وتصلي ، وتتعجب لماذا لا يستجيب الله صلواتك ! لكنك ، كل الوقت ، وأنت يعقوب تصلي مدعيا أنك عيسو . انك لست على استعداد أن تنزع جلد المعزى عن يديك وعنقك . لست تريد أن تظهر رقبتك عريانة . لست راغبا أن تخلع ثياب عيسو وتظهر على حقيقتك .

وبكلمات مرتعشة قال اسحق :« تقدم لأجسك يا ابني . أأنت هو ابني عيسو أم لا ». فاقترب يعقوب من اسحق أبيه ،« فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ». أية نصرة هذه ! فبالرغم من كل الملابس الفاخرة ، وجلود المعزى ، فان الصوت لا يزال هو صوت يعقوب .

ما أصعب أن أعترف في بيتي بالتبكيتات التي يبكتني بها الروح القدس . مرات بلا عدد ، عندما لا تكون الأمور على ما يرام ، أصطنع ابتسامة عريضة أواجه بها زوجتي . لكن بينما أنا أبتسم فهناك ارتعاشة في صوتي ونغمة غاضبة تغلب عليه . وربما يكون من الأفضل ألا أضيع الوقت في هذه التمثيلية ، فزوجتي وأولادي يعرفون على الفور أن « الصوت صوت يعقوب ».

لقد احتاج يعقوب الى وقت طويل ليستوعب هذه

الحقيقة . لقد كانت ارادة الله أن يباركه بسرعة ، لكن بدلا من ذلك نجده يقضي عشرين سنة في عمل شاق ، يجاهد ، ويخادع ، وكان عليه أن يترك بلده ، وأن يتغرب عند خاله لابان في فدان أرام .

ودعونا نفكر .. كل هذه السنين الشقية لكى يحاول الحصول على البركة ! ربما نال البركة لو أنه فعل أبسط شيء ، لو كان قد اعترف منذ البدء أنه يعقوب .

وأخيرا أمر الرب يعقوب أن يرجع الى أرض آبائه . أخبار طيبة ! لكن أى طريق يسلك في عودته ؟ « يعقوب! ارجع من الطريق التى تمر بمكان سكن عيسو » . يا للأخبار السيئة ! لكن لماذا هذه الطريق بالذات ؟. لأن طريق العودة الى أرض الله لا تتفادى المرور بعيسو ، بل ان الطريق الوحيدة للعودة الى البيت هى التى تمر بعيسو .

وعندما اقتربوا من البيت ، رجع رسل يعقوب اليه وقالوا له :« أتينا الى أخيك عيسو ، وهو أيضا قادم للقائك وأربع مئة رجل معه ». أربع مئة رجل مسلحون ! مسكين يا يعقوب ! انه لا يستطيع أن يختبيء الآن ، وكل ترتيباته لن تساعده في لقائه بعيسو .« يعقوب العتيق » لا يموت بسرعة . لقد صلى ، لكن ها هو يرجع الى

تدبيراته . فأجاز قدامه بقرا وغنما وعبيدا ، لعلها تمهد الطريق أمامه ، ولعل عيسو يعتبرها تكفيرا مناسبا عن خطيته . لقد كان لا يزال كما هو ، يعقوب الماكر المخادع المخطط . لكن كل ما فعله لم يفد بشيء ، وفي تلك الليلة لم يستطع أن ينام .

« فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ». انني أعتقد أن هذا الانسان هو الرب يسوع المسيح ، فالكتاب لا يقول « وصارعه ملاك »، لكنه يقول « وصارعه انسان » .

عشرون سنة من العمل الشاق ، وليلة كاملة من الصراع مع الرب ، من أجل نوال البركة ، لكنه كان لا يزال قويا في نفسه ، فلا يستطيع الرب أن يباركه . « ولما رأى (الانسان) أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ». أينما تكن نقطة قوتك ، فان ذلك الانسان العجيب الذى جرح لأجلك ، والذى سمر على الصليب بسبب جسدك ، وبغضتك ، وافتخارك ، وخطاياك ، سوف يمد يده الى هذه النقطة بالذات ، ويخلع هذا المفصل بالذات ، الذى تحس أنه أقوى ما فيك وما لديك .

وأخيرا قال يعقوب :« لا أطلقك ان لم تباركنى ».

وكأنه يقول :« آه يا سيد ! انك لا يمكن أن تتركني ، فأنا الآن ضعيف جدا ، لست بعد قويا كما كنت في الماضي اننى لا أقوى على الوقوف أو المشي • آه يا سيد ! من فضلك باركنى » •

والآن لنستمع الى هذا السؤال : « فقال له ما اسمك ؟ »• بعد عشرين سنة يأتيه نفس السؤال ، وفي هذه المرة أسرع بالقول :« يعقوب ! أنا يعقوب ، المخادع، الغشاش • لقد هزمت • قد أستطيع أن أخفى حقيقتى عن الناس ، لكنك يارب تعرفنى تماما • لقد وصلت الى نهاية نفسي »• وفي الحال أجابه قائلا :« لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل »• أمير مع الله ! لقد تغيرت الصورة بالكامل •

حالما تعترف بضعفك ، يتبدل ضعفك قوة • واذ نستمر في قراءة القصة نجد أنه بينما كان يعقوب يخمع على فخذه « أشرقت له الشمس » •

لقد تعلم يعقوب طريقا جديدة ، فلم يعد بعد محتاجا الى مخططاته ، ولذا فقد وضع الكل خلفه وتقدم هو لملاقاة أخيه • كان لم يزل ضعيفا ، والأربع مئة رجل كانوا لا يزالون مع عيسو ، وعيسو كان هو نفس الشخص ، لكن مع كل ذلك نجد يعقوب يتقدم للأمام !•

كيف ؟

بطريقة مختلفة تماما ، فنجده يسجد الى الأرض سبع مرات حتى اقترب الى أخيه ، وهذا ما لم يفعله من قبل أبدا ، فلم يسبق أنه أحنى رأسه • وفي كل مرة كان يحنى رأسه كان يقترب أكثر الى عيسو ، وكل انحناءة كانت تحمل في طياتها اعترافا :« لقد أخطأت »• لم تكن المشكلة في عيسو ، لكنها كانت فيه هو •

« فركض عيسو للقائه ، وعانقه ، ووقع على عنقه وقبله • وبكيا »• يا له من لقاء عجيب ! ويا لها من مصالحة فريدة ! لقد رأى يعقوب وجه عيسو كما يرى وجه الله •

عندما يكون كل منا على استعداد أن يقول « أنا يعقوب »، معترفا بحقيقته ، فان العالم سوف يرى « أمراء مع الله » كثيرين • قد يخمعون بينما هم يمشون ، لكنهم رغم ذلك سيكونون مملوئين ضياء ومجدا •

(٦)

المحبة الغافرة

(يوسف واخوته)

« وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض ، فأتى اخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم الى الأرض . ولما نظر يوسف اخوته عرفهم ، فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم من اين جئتم ؟ فقالوا من ارض كنعان لنشترى طعاما . وعرف يوسف اخوته ، واما هم فلم يعرفوه . فتذكر يوسف الأحلام التى حلم عنهم وقال لهم : جواسيس انتم ، لتروا عورة الأرض جئتم . فقالوا له لا يا سيدى، بل عبيدك جاءوا ليشتروا طعاما . نحن جميعنا بنو رجل واحد . نحن امناء . ليس عبيدك جواسيس . فقال لهم كلا بل لتروا عورة الأرض جئتم . فقالوا عبيدك اثنا عشر اخا ، نحن بنو رجل واحد فى أرض كنعان ، وهوذا الصغير عند ابينا اليوم والواحد مفقود . فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلا جواسيس انتم » .

« وقالوا بعضهم لبعض حقا اننا مذنبون الى اخينا الذى راينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع ، لذلك جاءت علينا هذه الضيقة »

« وكان الجوع شديدا فى الأرض . وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذى جاءوا به من مصر أن اباهم قال لهم ارجعوا اشتروا لنا قليلا من الطعام ... فأخذ الرجال هذه الهدية وأخذوا ضعف الفضة فى أياديهم ، وبنيامين، وقاموا ونزلوا الى مصر ووقفوا أمام يوسف».

« فدخل يهوذا واخوته الى بيت يوسف وهو بعد هناك ، ووقعوا أمامه على الأرض. فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذى فعلتم ؟ الم تعلموا أن رجلا مثلى يتفاءل ؟ فقال يهوذا ماذا نتكلم وبماذا نتبرر ! الله قد وجد اثم عبيدك » .

« فقال يوسف لاخوته تقدموا الى . فتقدموا . فقال انا يوسف اخوكم الذى بعتموه الى مصر . والآن لا تتاسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى الى هنا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم » .

« ثم وقع على عنق بنيامين اخيه وبكى .

وبكى بنيامين على عنقه • وقبل جميع اخوته وبكى عليهم ، وبعد ذلك تكلم اخوته معه » .

(تك ٤٢ : ٦ – ١٤ و ٢١ – ٢٦ و ٢٩ و٣٠ • ٤٣،١و٢و١٥ ، ٤٤:١و٢و٤و٦و١٢و١٤ – ١٦ ٤٥ : ١ – ٥ و ١٤ و ١٥) .

انا اخوكم !

لقد حمل اخوة يوسف حملا ثقيلا جدا ، ظلوا يئنون تحته لمدة ثماني عشرة سنة • كانوا رجالا قد اختارهم الله ، لكنهم ارتكبوا خطية فظيعة جدا ببيعهم أخيهم الأصغر يوسف ، بعد أن كادوا يرتكبون جريمة قتل بشعة •

وتحت ثقل شعور عميق بالذنب ، خططوا ورتبوا لاخفاء فعلتهم • فأحضروا أدلة مضللة ، واستتروا خلف أقوال كاذبة كثيرة • لكن الكل جاء عليهم ، فكان اختبارا مرعبا اجتازه هؤلاء الاخوة •

لكن الله عالج الموقف بطريقته ، بنعمته ، فأتى بهم الى يوسف • والآن ، فانه لو كان هناك انسان لا يريدون أن يقابلوه فهو يوسف ! كلهم كانوا يودون لو يصدقوا أنه مات فعلا ، لكنه لم يمت ، فأينما ذهبوا كان يخيل

اليهم أن يوسف يطاردهم • لقد كذبوا على أبيهم وأخبروه أن يوسف قد مات ، لكنهم كانوا يرون يوسف يتعقبهم في كل مكان • فبينما هم يرعون الأغنام ، كانوا يتصورون أن يوسف يتبعهم ، مع أن حقيقة الأمر كانت أن ضمائرهم كانت تطاردهم لسنوات طويلة ، فلم يستطيعوا أبدا أن ينسوا فعلتهم الشريرة ، الى أن حل ذلك اليوم المرموق حين أرغمتهم الظروف على أن يأتوا الى يوسف ويقعوا أمامه على الأرض ، « وعرف يوسف اخوته ، وأما هم فلم يعرفوه »•

تخيل هؤلاء الرجال العشرة يقفون أمام يوسف • كان يعرفهم ، ويعرف أسماءهم ، واذ نظر في عيونهم رأى هناك الشعور بالذنب • أما هم فلم يعرفوه ، ولذلك نجده يكلمهم باستخدام مترجم •

لقد عرف يوسف أنهم لمدة ثماني عشرة سنة كانوا يبذلون كل ما في وسعهم لكي ينسوا فعلتهم ، لكن مجهوداتهم باءت بالفشل • لقد عرف ، لأنه كان نفس الفتى يوسف الذي باعوه • لم يعرف المصريون أنهم كانوا مذنبين ، والرجال أنفسهم بدوا وكأنهم ليسوا

مـذنبين • لكن عنـدما نظر يوسف اليهم رأى حقيقة دواخلهم •

ولأن يوسف أحبهم ، فقد عرف أنه لا توجد وسيلة أخرى لتحريرهم من شبح الجريمة الذى يخيم فـوقهم سوى أن يتعامل معاملة مباشرة مع تلك الخطية اللعينة • كان عليهم أن يخرجـوها من ضمائرهم ، ويدفنـوها ، وينسوها • ولذلك نجد يوسف بنبله يحاول أن يقـود اخـوته الى نقطة البداءة الصحيحة للتخلص من هـذا الحمل الثقيل •

لقد خاطبهم يوسف بالقول :« جواسيس أنتم »• جواسيس ؟! هـذه كلمة قاسية ، أليس كذلك ؟• لكن في لحظة نطقه بهذه الكلمة بدأت ضمائرهم تتحدث اليهم قائلة :« ان هذا كله بسبب ما فعلناه ! »• لقـد حركت كلماته أجراس ضمائرهم فبدأت ترن في دواخلهم بشدة ، وبغير أن يطلب منهم بدأوا يعترفون :« نحن جميعنا بنو رجل واحد • نحن أمنـاء • ليس عبيدك جواسيس »• لاحظ هذه الكلمات :« نحن أمناء »• لقد كان يوسف يلاحظهم وهم يقولونها • لكن هل حقيقة كانوا أمناء ؟•

واستطردوا يقولون :« عبيدك اثنا عشر أخا »• هذا

حق • لقد كانوا اثنى عشر ، وكانوا اخوة • لم يكذبوا في هذا القول •

« نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان » • وهـذا أيضا قول حق •

« وهوذا الصغير عند أبينا اليوم »• وهذا أيضا حق، لكن لاحظ نهاية الكلام :« والواحد مفقود »! هل هؤلاء رجال أمناء ؟• لقد اعترفوا اعترافا كاملا • اعترفوا بما لم يسألهم عنه أحد ، لكن ما جعلهم يحسون بالحرج هـو الكلمات التى اختتموا بها اعترافهم • الشبح الذى يحوم حولهم ويعذبهم •

اذا فكل اعترافهم كان حديثا لا ضرورة له ، مضيعة للوقت • فلم يكن مـا يتعب ضمائرهم أنهم « اثنا عشر أخا »، أو أنهم « بنو رجل واحـد في أرض كنعان »، أو أن أخـاهم الصغير كان عند أبيهم • لم تكن ضمائرهم مثقلة بأى من هـذه الأمور • فجـوهر الأمر هو تلك الكلمات الختامية :« والواحد مفقود » •

مرات يحن المؤمنون للنهضة • ونستطيع أن نصلى طول الليل لأجل الانتعاش ، ونستطيع أن نفعل أي شيء لكى تتمتع بالنصرة الروحية ، ونستطيع ــ كهـؤلاء

الاخوة ــ أن نقدم اعترافات مطولة ، الى أن نصل الى النقطة الجوهرية في كل الموقف • ذلك الاعتراف الذى ينتظره منا الرب ، لكننا نتفاداه ــ كما فعل أولئك الاخوة •

لقد كان يوسف هناك يقف منتظرا أن يسمع الحق الكامل ، فلو أنهم قالوا : « ••• الواحد بعناه » لأحدث ذلك تغييرا جذريا في الموقف • لكنهم تفادوا أن يعترفوا بخطيتهم •

ألست تفعل نفس الشيء أحيانا ؟ فأنت تتفادى الأمر الواحد الذى هو مفتاح الحصول على البركة ، بينما الله يعرف الحقيقة بالكامل ، ولن تستطيع أن تخفى عنه أى شيء • فان كنت تفتدى الوقت وتأتى مباشرة الى جوهر الموضوع ، فسوف يباركك ، فالنعمة تقف منتظرة اياك عند تلك النقطة عينها •

أما الأقوال المبهمة ، والاعترافات العامة ، فقد تعطيك راحة في علاقاتك مع الآخرين ، لأنهم لا يعرفون الحق كله • فعندما قال اخوة يوسف ان « الواحد مفقود » لم يكن هذا القول هو سبب احساسهم بالذنب ، فربما كان يوسف قد مات • ربما افترسه وحش ، أو حلت به فاجعة•

ولم يكن أى منهم يعرف ما حل به على وجه التحديد ، ولذلك كانت كلماتهم عنه مبهمة •

هناك اعتراف بالخطية يتضمن اعترافا ما بأنك كنت مخطئا ، لكنه يتركك في جانب الأمان ، فأنت تقدم اعترافك بكيفية لا يتمكن أحد أن يتأكد منها ، فلا يعرف أحد أنك سبب اللعنة التى حلت بمجتمعك ، أو أنك مسئول عن هدم الشركة بين أفراد جماعتك • لن يعرف أحد !

نظر يوسف الى اخوته وقال لهم ثانية :« جواسيس أنتم » ! بينهم وبين أنفسهم « قالوا بعضهم لبعض حقا اننا مذنبون الى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع • لذلك جاءت علينا هذه الضيقة »• بينهم وبين أنفسهم اعترفوا اعترافا كاملا ، أما أمام يوسف فتفادوا الحقيقة ، كما سبق أن تفادوا الحقيقة أمام يعقوب أيضا • لقد كانوا على استعداد أن يعترفوا بخطيتهم ، لكن ليس في المكان الصحيح •

هناك رجال يتحدثون مع غيرهم عن علاقاتهم المنهدمة مع زوجاتهم ، وليس لديهم مانع أن يناقشوا الموضوع

مع أى شخص ، الا مع من يتأثر بسببه ، الا مــع الطرف الذى أسيىء اليه •

وقد تتبادلين الضحكات مع الأخريات وأنت تقولين : « انه شخص فظيع للغاية ! أليس كذلك ؟ لا يستطيع أحد أن يعيش في وفاق معه • انه شخص متعب جدا »• لكنك لا تقولين ذلك له ، بل عندما يرجــع الى المنزل ترسمين على وجهك ابتسامة عريضة تقابلينه بها ، وتظهرين بمظهر بديع للغاية ! وفي داخلك شيء ما يقــول لك انك لست أمينة ، أنت جاسوسة !

والجاسوس شخص يظهر خلاف حقيقته • قد يبدو كصديق ، بينما طــوال الوقت هــو يخفى مسدسا في ملابسه • وهكذا قد يكون المؤمن جاسوسا ، تماما كما كان أولاد يعقوب •

لماذا لم يخبروا يوسف بالحقيقة ؟ لماذا تحدثوا بينهم وبين أنفسهم فقط عن السبب الذى لأجله جاءت عليهم تلك الضيقة ؟

هل تعلمون لماذا تحل الضيقات بالبيوت ؟ والأعمال؟ والكنائس ؟• انه بسبب تفادى اظهار الحقيقة • وعندما

يوجه الروح القدس التفاتك اليها ، فأنت تعمل كل ما في وسعك لتفاديها •

جميعنا نتقن هذا الأمر • لكننا بذلك ندخل أنفسنا في اختبار متعب منهك ، وكثيرون يتقسون بسبب هــذا الموقف • لكن الله لابد وأن يقودنا الى نقطة الاعتراف بالخطية الواحدة التى نجتهد في اخفائها ، لأنه يعرف أنها سبب حرماننا من البركة ، وأنها سبب اصابتنا بالجفاف •

ولأن الاخوة لم يكونوا على استعداد أن يواجهــوا الحقيقة فقد أساءوا فهــم يوسف ، فعندما قصوا القصة على أبيهم قالــوا له :« تكلم معنا الرجــل سيد الأرض بجفاء »• لقد ظنوا أنه كان قاسيا عليهم • لكن هل حقا كان كذلك ؟ كلا اطلاقا • لقد أساءوا فهمه تماما ، فحقيقة الأمر أنه رجــل رقيق القلب جدا ، لقد « تحــول عنهم وبكى » ، فهل هذا دليل القسوة ؟ لقد كان يحبهم ، وكان كريما معهم جدا •

كثيرون من المسيحيين يسيئون فهم يسوع ، ويتهمونه بأنه يقسو عليهم • انهم يظنون أنه ينبر بشدة وباستمرار على خطاياهم ، مما يجعلهم يعيشون في تعــاسة • لكن ليست هذه هى الحقيقة • فهناك دموع تملأ عينى يسوع كما كان يوسف • انه يعلم أنك أنت تقسو على نفسك ،

فطالما أنك تتفادى مـواجهة الحقيقة حتى يحاول الله أن يدفعك لذلك ، فانك تقسو على نفسك الغالية بلا مبرر . لو كنت فقط تعلم النعمة التى تنتظرك ! مـا عليك الا أن تنطق بكلمة الاعتراف التى تحجم عنهـا باصرار ، والتى تخاف من أن تنطق بها ، فالنعمة في انتظارك .

وبينما الاخوة يتحدثون بالعبرية ، كان يوسف يسمع كل كلمة قالوها ، ولم يكونوا يعرفون أنه يعرف لغتهم . هـل تعلم أن يسوع يسمع ويعرف كل كلمة تقـولها ؟ وعندما يكلمك ضمـيرك ، فهو يسمـع . وفي حبه لك يتحول عنك ، ويبكى عليك بدموع الحب ، لأنك لست على استعداد أن تخلص نفسك من هذا الاختبار المر غير الضرورى ، ولأنك لست على استعداد أن توجـد حيث تريدك النعمة أن تكون .

وأخيرا جاء وقت أصبح الاخوة فيه على استعداد أن يطيعوا ،« فدخل يهوذا واخوته الى بيت يوسف وهو بعد هناك ». حمدا للرب ! لقد أتوا الى بيت يوسف مذنبين ، لأن كأسا قد وجد في عدل بنيامين ، ولقـد كان يوسف هناك . ان يسوع لم يزل هناك . هناك ينتظر . ربما كنت شاردا تتلمس طريقك في الظـلام ، ولا تريد أن تواجه

الحقيقة ، لكن النعمة على استعداد ، فالرب يسوع مازال هناك في الجلجثة . انه ينتظر هناك لأجلك .

« فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذى فعلتم ؟ » . وما أعظم الرب يسوع المسيح بالمقارنة بيوسف ! انه يقول لكل واحد منا :« ما هذا الفعل الذى فعلت ؟ لماذا تتجنب الحق ؟ ». فأجاب يهوذا وقال :« ماذا نقـول لسيدى ؟ ماذا نتكلم وبماذا نتبرر ؟ الله قد وجد اثم عبيدك ». وهذا تماما ما كان يوسف ينتظره ، فلم يبق لهم مـا يبررون به ذواتهم ، ولا كلمة واحدة ، ولا عذرا واحدا . لقد اعترفوا أن الله قد وجد اثمهم .

وأخـيرا « لم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده ، فصرخ أخرجوا كل انسان عنى . فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف اخـوته بنفسه . فأطلق صوته بالبكاء » . « وقـال يوسف لاخـوته أنا يوسف ! ». لقد أصابهم الارتباك بالطبع ، ولم يستطيعوا أن يجيبوه لأنهم ارتاعـوا منه :« فقال يوسف لاخـوته تقدموا الى . فتقدموا . فقال أنا يوسف أخـوكم الذى بعتموه الى مصر » .

يا للاختبار المـذهل ! فحالمـا قدم اخـوة يوسف اعترافهم لم يستطع أن يضبط نفسه أكثر . كان عليه أن

يعرفهم بنفسه ، فأطلق صوته بالبكاء ، وقال لهم «تقدموا الى »• وكانوا يرتجفون عندما قال لهم « أنا يوسف »• عندما يقترب منك يسوع ، وأنت تتلاعب مع الخطية ، ويقول لك « أنا يسوع »، فلابد وأن تتراجع للخلف فى خوف ورعب • لكن مهلا ، اسمعه وهو يقول لك :« أنا يسوع أخوك • لقد بعتنى للصليب ، لكنى يسوع أخوك • اقترب الى » •

لقد طيب يوسف قلوب اخوته ، بل أكثر من ذلك ، لقد حاول أن يتلمس لهم الأعذار • اسمعه وهو يقول لهم :« والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى الى هنا ، لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم »• ويسوع يقف بجوار كل واحد منا ، ويقول :« أنا يسوع أخوك• لقد كنت تحت التبكيت لأيام كثيرة • لقد حملت الحمل وحدك بدون مبرر • لقد علقتنى على الصليب بخطاياك ، لكن الآب قصد به أن يرتب لك خلاصا أبديا • اقترب الى » •

ان يوسف لم يعز اخوته فقط ، لكنه بكى عليهم ، ثم قبلهم ، وتحدث معهم ، وتحدثوا هم معه • ويا للحديث العذب ! لقد زال الحمل • من الذى أزاله ؟ يوسف • لم يكونوا يقدرون أن ينسوا خطيتهم ، لكن يوسف غفرها ،

وتغاضي عنها ، وأزال حملها عنهم ، فلم يعد يثقلهم فيما بعد •

وعندما تقف مرتعشا في المكان الذى يدعى جلجثة ، وأنت واحد من أولئك الذين يقاسون بسبب الخطية التى يخفونها ، يأتى اليك يسوع ويقول :« لا تخف من أن تأتى الى ، فلقد أتممت العمل لأجلك »• ربما تظن أن التوبة أمر عسير للغاية ، وربما تظن أن خطيتك هى أصعب أنواع الخطايا ، لكن لا تحاول أن تخفيها ، والا فستقتلك • ما عليك الا أن تأخذها الى يسوع وتقول له :« لست أجد ما أدافع به عن نفسي ، ولا ما أعتذر به عن خطيتى ، اننى خاوى اليدين • ومذنب » •

ولسوف يعزى قلبك ، لأنه مات لأجل هذه الخطية بالذات • ولقد غفرت ، وانتهت • سوف يبكى عليك ، ويقبلك ، ويكلمك ، وتبدأ أنت أيضا تكلمه ، ويدور بينكما حديث عذب يستمر طوال الحياة •

(٧)

المحبة المحررة

(المراة السامرية)

« وكان لابد له ان يجتاز السامرة . فاتى الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه . وكانت هناك بئر يعقوب . فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر ، وكان نحو الساعة السادسة . فجاءت امـراة من السامـرة لتستقى ماء ، فقـال لها يسوع أعطينى لأشرب ... فقالت له المراة السامرية كيف تطلب منى لتشرب وانت يهودى وانا امراة سامرية ، لأن اليهود لا يعاملون السامريين. اجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقـول لك أعطينى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك مـاء حيا . قالت له المراة يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة ، فمن اين لك الماء الحى ... اجاب يسوع وقال لها كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ، لكن من يشرب من الماء الذى اعطيه انا فلن يعطش

الى الأبد ، بل المـاء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حيـاة أبدية . قالت له المرأة يا سيد أعطنى هـذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى الى هنا لأستقى . قـال لها يسوع اذهبى وادعى زوجـك وتعـالى الى ههنا . اجابت المراة وقالت ليس لى زوج . قال لها يسوع حسنا قلت ليس لى زوج ، لأنه كان لك خمسة ازواج والذى لك الآن ليس هـو زوجك ، هذا قلت بالصدق . قالت له المرأة يا سيد ارى انك نبى » .

« قالت له المـراة انا اعلم ان مسيا الذى يقال له المسيح يأتى ، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء . قـال لها يسوع أنا الذى أكلمك هـو » .

« فتركت المراة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا انسانا قال لى كل ما فعلت ، العل هذا هو المسيح ؟ فخرجوا من المدينة وأتوا اليه » .

(يو ٤:٤ – ١٩ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ – ٣٠)

مفاجاة عند البئر !

اتجهت المرأة نحـو البئر بخطوات متثاقلة ، بنفس الطريقة الرتيبة التى كانت تمشي بها يوما بعد الآخـر .

فلم تكن بئر يعقوب القديمة ، خارج سوخار ، تقدم شيئا جديدا . قالت في نفسها :« لقد ذهبت الى هناك بالأمس، وها أنا ذاهبة أيضا اليوم . ليس من جديد . لا يوجد تغيير ، ولا شيء مثير » .

وأحيانا تكون الحياة هكذا ، حتى بالنسبة للمسيحيين المؤمنين . يذهبون ويجيئون . يعملون نفس الأعمال القديمة ، بنفس الطرق القديمة ، فيتوقفون عن توقع أي جديد . لذلك فلا عجب أنك عندما تعلن عن بدء اجتماعات مسيحية ، لا يقبلون على الحضور . هل تلومهم؟ نفس الروتين القديم ، ونفس المواقف القديمة ! فأنت تذهب الى هناك بمزاج حاد ، ثم ترجع الى البيت بنفس المزاج الحاد . تذهب الى هناك وقلبك يحمل بغضة لجارك ، وترجع الى البيت والبغضة مازالت كما هي ، أو ربما زادت . تذهب الى هناك وأنت تحس أنك تعيش روحيا في صحراء ، وترجع من الاجتماع وأنت مازلت تشعر بالجفاف والعطش والتعب ! اذا لماذا الذهاب ؟! .

كانت المرأة مكتئبة وهي في طريقها الى بئر يعقوب خارج المدينة . بالطبع كانت هناك آبار أخرى داخل سوخار ، لكنها ، بمجيئها الى هذه البئر ، كانت تحاول

الهروب من الحقيقة . كانت تهرب مما تتحدث به نساء المدينة عنها ، ومما يقوله رجال المدينة عليها . لقد أصبحت هدف كل الألسنة والشفاه في المدينة ، وعيون أهلها جردتها من كل غطاء . كان عليها أن تذهب الى بئر بعيدة، وحيدة ، في قيظ منتصف النهار ، لأنها لم تعد تحتمل أن تقابل أهلها أبناء السامرة .

هل تعلمون أنه حتى في الأوساط المسيحية توجد شخصيات تجعلك ترغب في أن تجرى هاربا وتختبىء بعيدا ؟ انهم يحيطون أنفسهم بقداسة منفرة . وعندما تجلس على مقربة منهم ينتابك شعور بأنك قد أصبت بالجمود . فهناك عيون تنظر باستمرار ، لكن لا تقدم أية تعزية . انهم يجرحون ، ويتركون الجروح تنزف . ان امرأة السامرة كانت تعرف تلك العيون ، ولم يكن باستطاعتها أن تحتملها أكثر .

لم تكن تعلم أن هذا اليوم سيكون مختلفا ، وأن هناك أخبارا طيبة تنتظرها عند البئر . أخبار طيبة في شكل رجل من لحم وعظام . شخص يعرف بؤسها ، وألمها ، ووحدتها ، وخطيتها ، وحياتها المحطمة ، وبيتها المنهدم . أخبار طيبة تأخذ في اعتبارها كل ما اجتازت فيه تلك المرأة العزيزة طوال حياتها .. كل شيء . لقد

استعرض يسوع كل مراحل حياة هذه السيدة ، كل ما مر بها ، كل بقعة سوداء ، وأتى ماشيا الى البئر ، وجلس هناك في المكان الصحيح في التوقيت الصحيح • لقد خطط الله هذه المقابلة بمنتهى الدقة ، بينما المرأة لم تكن تعرف عنها شيئا •

• لم تكن المرأة تتوقع شيئا ، أما النعمة فكانت تتدفق بالحماس ، لأن النعمة كانت على وشك أن تصنع من الحطام كيانا واحدا سليما • هنا حياة مكسورة ، يقابلها مخلص « مكسور »• هنا حياة وحيدة ، يقبلها « مخلص وحيد »• هنا حياة خاطئة ، يفتح لها ذراعيه مخلص حمل في شخصه مسئولية خطايا كل البشرية •

ومن خلال الأشجار المحيطة بالبئر تقابلت عينا المرأة لأول مرة مع عينى ذلك الشخص الفريد الذى لم تره من قبل • كانت عيناه متعبتين ، وشفتاه مشققتين ، وقدماه متسختين ، وجسده مرهقا متهالكا • لكن يا له من شخص !

لقد تقابلت عينا المرأة المحطمة المتداعية مع عينى الله الظاهر في صورة انسان • لم توبخها عيناه ، ولم تقولا لها :« امضي بعيدا ، فأنت أشر مما تستطيع الكلمات أن

تصفه »• بل بالعكس ، كانت عيناه تحملان دعوة ، وتعبران عن قبول جعلها تحس بأنها ما زالت كائنا بشريا •

هذا ما تفعله النعمة ، فالنعمة تعطيك فرصة أخرى لتكون ما قصده الله لك أن تكونه • ولا يستطيع شخص آخر أن يحقق لك هذا سوى ذلك الذى حجب مجده الالهى وأتى ليأخذ مكانه بجانبك • هذه هى المحبة التى سفكت الدم على صليب الجلجثة لتقبلك كما أنت ، مهما كانت حياتك حطاما •

ما أجملها محبة !

لقد قابل يسوع المرأة حيث كانت تماما • بيتها منهدم، وحياتها فارغة ، وهى ما تزال متعبة ، مذنبة ، يغطيها الخجل ، وتعذبها الوحدة • في نفس هذا الموقف تماما قابلها المخلص • وهذه هى الكيفية التى يقابل بها يسوع الناس • انه يقابل المؤمنين الساقطين ، والقديسين المنهزمين ، المسيحيين الذين لا يعرفون ماذا يفعلون • انهم يعرفون أنه يوجد الروح القدس ، لكن أين هو ؟ أين هو ذاك الذى يحول الحياة الجافة الى حياة تفيض بالفرح ؟

لقد أجاب يسوع على هذا السؤال ، فقال : « أيتها السيدة العزيزة ، لو كنت تعلمين أنه بجانب بئر يعقوب

هذه يجلس عطية الله لك ! انك لا تستحقين هذه العطية ، ولم تفعلى شيئا يجعلك تستحقينها ، لكنها عطية مجانية أبدية ، نهر ماء حى يتدفق خصيصا لأجلك » •

لقد أحست بدفء عجيب يتغلغل في كيانها • لقد حطم يسوع الحواجز ، وبدون أن تدرى بدأ تيار الحياة يسرى في حياتها • أحست احساسا غريبا أن يسوع يعاملها كنفس بشرية • لم يعاملها أحد من قبل بهذه الكيفية • لقد استغلها من تعاملوا معها من قبل في اشباع رغباتهم ، وهنا شخص ليس فقط لا يستغلها ، وانما بالفعل يحررها •

فى الحال ساد المرأة الحماس ، وقالت ليسوع : « يا سيد ، أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى الى هنا لأستقى »• عندئذ قال لها :« اذهبى وادعى زوجك »، فأجابت قائلة :« ليس لى زوج »•« تقولين انه ليس لك زوج ! سوف أعدهم لك : واحد ، اثنان ، ثلاثة •• وأنت الآن تعيشين مع السادس ، لكنك مزمعة أن تتركيه ، فهو ليس زوجك • ستة !! »•

يا للصدمة ! لقد ذهلت المرأة تماما • لقد حطم يسوع سلوكها في تجنب اظهار الواقع ، وجعلها تواجه نفسها كما

هى • لقد كانت تهرب من نفسها ، من فشلها ، من خطاياها والآن ها هو المخلص يقدمها لنفسها • كانت تهرب من الحقيقة • هل حاولت ذلك أبدا ؟ هل تعلم لماذا تنهدم بيوت مسيحية كثيرة ؟ لأن الأزواج يهربون من الحقيقة، والزوجات يفعلن نفس الشيء تماما • كلنا نحاول في وقت أو آخر أن نتجنب الواقع كما فعلت هذه المرأة السامرية، لكن كلما أمعنا في الهرب من حقيقة أنفسنا أمعنا في الهرب من أنفسنا ، وأصبحنا غرباء عن أنفسنا وعن مجتمعنا •

يتحدث الناس عن التفرقة العنصرية ، لكن كيف يمكنك أن تكون أخا لى بينما أنت تهرب ؟ وكيف نستطيع أن نتمتع بالحياة والشركة معا بينما كل منا يهرب من الحياة ؟

حالا غيرت المرأة موضوع الحديث الى الدين ، واستمر يسوع في حديثه معها بنفس الجدية والاهتمام والعمق • وفكرت في نفسها :« يا للعجب ! أنت تعرفنى على حقيقتى ، وتعرف رداءة داخلى ، ومع ذلك تعاملنى كشخص يستحق تبادل الحديث معه ! أنت تعرف حياتى الفاشلة ، وبيتى المحطم ، ومرات طلاقى المتكرر ، ومع ذلك تتحدث معى كشخص ذى قيمة • يا للعجب ! » •

وعنـدئذ أعلن لها السر :« أنا الذى أكلمك هـو (المسيا) » •

اتسعت عيناها ، وازدادت ضربات قلبهـا ، وبدأت الحقيقة التى كشفها لهـا تشرق في ذهنها :« آه ! لقـد علمت أن هناك شيئا عجيبا ومختلفا يتعلق به ، والا فكيف استطاع أن يعـرف ماضي وتاريخى ؟ ومن غـيره كان باستطاعته أن يعرف عنى كل ما يعرف ومـع ذلك يحبنى بهذه الكيفية وبهذا القدر ؟ لقد عاملنى كما لو كنت ابنة لله ! وأنا فعلا كذلك ! فرغم أننى أعيش في فقر وعـوز روحى ، لكننى مازلت ابنة لله ! » •

وفي فرحتها الغـامرة بمقابلة يسوع والتعرف عليه تركت جرتها عند البئر ، تلك التى كانت السبب أصلا في اتيانها الى البئر • وان كان يسوع قد طلب منها أن تدعو زوجها ، فقـد أسلمت قـدميها لجناحى الريح لتذهب بأقصي سرعة الى المـدينة ، وتقف في وسط السـوق ، وتنادى للمدينة بأسرها :« هلموا ! انظروا » •

كانت لاهثة الأنفاس • ربما في البداية سخرت منها بعض النسوة قائلات : « آه ! ما هـذا ؟ رجـل آخر ؟ هل سيكون السابع اذا ؟! »• لكنهن سرعان ما لاحظن

اختلافا ، بل ان كل مـا يتعلق بها مختلف : « هلمـوا انظروا انسانا قال لى كل ما فعلت » •

ربما كاد بعض الرجال أن يجيبوها قائلين : « قال لك كل ما فعلت ؟ نحن أيضا نستطيع أن نفعل ذلك • نحن أيضا نعرف كل ما فعلت ، فما هو الجديد اذا ؟ »• لكنها لم تكن بحاجة لأن تقدم أى توضيح • لقـد نظروا في عينيها فوجدوا اشعاعا جديدا لم يروه هناك من قبل • لقد غمرت حياتها أنهار ماء حى ، وكان ينبع منها مـاء حى • هذه المرأة ! لقـد تغيرت تماما لدرجة أنهم لم يعرفـوها بسهولة بل تشككوا في أمرها •

« لقد قال لى كل ما فعلت ، ومع ذلك فقد أحبنى ! أليس هو المسيح ؟ لقـد أزال بؤسي • لقد أزال حملى • لقد محا عارى ، ووضع على نفسه كل ما حطم حياتى • لقد وقف بجانبى • ألعل هذا هو المسيح ؟ » •

فخرجت المدينة بأكملها •• وجاءت لتراه •

ما هو مقدار حماسك ؟ ما هى درجة غيرتك ؟ أنت تقول انك قد اختبرت يسوع كمخلصك الشخصي • هذه عبارة مباركة ، لكن ما الذى حدث معك ، ولك ؟ هـل حررك تحريرا شخصيا ؟ وهل سوخار (مدينتك) تعلم ذلك عنك ؟

(٨)

المحبة المخلصة

(زكا)

« ثم دخل واجتاز فى اريحا . واذا رجل اسمه زكا وهو رئيس للعشارين وكان غنيا ، وطلب ان يرى يسوع من هو ولم يقدر من الجمع لأنه كان قصير القامة . فركض متقدما وصعد الى جميزة لكى يراه ، لأنه كان مزمعا ان يمر من هناك . فلما جاء يسوع الى المكان نظر الى فوق فرآه وقال له : يا زكا اسرع وانزل لأنه ينبغى ان أمكث اليوم فى بيتك ، فاسرع ونزل وقبله فرحا . فلما راى الجميع ذلك تذمروا قائلين انه دخل ليبيت عند رجل خاطىء . فوقف زكا وقال للرب ها انا يا رب اعطى نصف اموالى للمساكين وان كنت قد وشيت باحد ارد اربعة اضعاف . فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت اذ هو ايضا ابن ابراهيم ، لأن ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » .

(لو ١٩ : ١ — ١٠)

الرجل الكبير القصير :

كان رجلا معروفا ، وظيفته هامة ، وأموالە كثيرة ، وعلى قدر عال من التعليم ، والا ما وصل الى المركز الذى وصل اليه . كان شابا ، يتمتع بصحة طيبة ، لدرجة أنه استطاع أن يركض ويتسلق شجرة . كان من الشخصيات المرموقة في مجتمع مدينة أريحا . كان اسمه زكا .

كان رجل أعمال ، يختص بالأمور المالية الهامة للهيئة الحاكمة . وكان رئيس جباة الضرائب ، وبهذه الصفة كان ذا نفوذ واسع . وكان من الذكاء بحيث انه جمع لنفسه أموالا طائلة . لكن رغم كل هذا كان يسوده شعور غريب بالحيرة وعدم الارتياح .

كان الفريسيون يدعون زكا « خاطئا »، لكن في مجتمع تلك الأيام كان كل جباة الضرائب مكروهين من الناس ومعتبرين خطاة . لذلك فلا نعتقد أن نظرة المجتمع اليه كانت هى السبب في عدم تمتعه بالسلام ، وبالأخص لأنه كان في سلام مع سلطات الحكومة ، ومن كان يعيش في أريحا كان في مقدوره أن ينعم بالسعادة والسلام دون أن يعطى أى التفات لرأى أولئك المتدينين المتعصبين .

لكن رغم كل هذا فان زكا لم يكن يتمتع بالسعادة التى ينتظر أن تتيحها له أمواله الوفيرة ومركزه المرموق ، ونستطيع أن نحس بحالته عندما نقرأ (لو ١٩)• ربما كان مضطرا أن يعيش في وحدة بسبب نفور الناس منه وعدم حبهم له • وربما كان نقد الناس المستمر يسيء الى شعوره ويجعله يعانى من الاحساس بالذنب • وربما الطريقة التى كان الناس ينظرون بها اليه ، بما فيها من احتقار ممتزج بالخوف ، ملأت قلبه بؤسا • وما أقسي نظرات الناس في بعض الأحيان ! انها قد تجعل الحياة أصعب من أن تطاق •

كان يعيش تحت ضغط مستمر جعله يختبر شعورا ملحا بعدم الارتياح ، وأوصله الى الاعتقاد بأن حياته ليست كما ينبغى أن تكون • فابتدأ يحس بوخزات الضمير ، بكيفية لم تفلح معها كل مقتنياته أن تغير شعوره بالمرارة • وبدأ يدرك أن كل ما في بيته ، وكل ما يملكه من مال ، وكل ما لديه من علم ومن أصدقاء ، كل هذه لا تستطيع أن تهبه الحياة المتكاملة التى يصبو اليها •

ثم وصلته أخبار رجل اسمه يسوع ، معلم شاب من الناصرة كان يجول يعلم في كل مكان • ومن كل ما سمعه عنه فان ما تأثر به أكثر الكل هو أن يسوع هذا كان

صديقا للعشارين والخطاة ، وأن السبب الرئيسي لانتقاد الفريسيين وكبار رجال الدين له هو أنه يحب الخطاة فيلتفون من حوله أينما ذهب ، ويحسون بالراحة الكاملة في رفقتهم له •

هل كان يسوع يشجعهم على ذلك ، بينما يستمرون يعيشون في خطاياهم كما كانوا ؟ كلا ، فقد كانوا يتغيرون • لكنه لم يكن يدفعهم لذلك • كانوا يأتون اليه ، ويلتفون حوله ، وكانت له طريقة فريدة معهم تجعلهم يحسون بالمحبة ، وبأنهم أفراد في العائلة البشرية ، يوجد من يحبهم ويهتم بهم كما هم •

قال زكا في نفسه :« لابد أن أراه • لابد أن أسمعه وهو يتكلم » •

وجاءته الأخبار أن يسوع سوف يجتاز من أريحا ، فقال لنفسه : « مهما حدث فلابد أن أقابله »• ولذلك نجده يدخل وسط الجمع ، ويا له من اختبار بالنسبة له ! فقد زحمه الكثيرون ، وأحس بالأيدى تدفعه الى هنا والى هناك ، وربما قال بعضهم :«هنا يأتى ذاك الذى أثرى وغلظ لحمه من أموالنا ! » • لم يكن هذا اختبارا سهلا بالنسبة لزكا •

ولأنه كان قصير القامة ، لم يكن يستطيع أن يرى جيدا ما يحدث حوله • وهذا الجمع المتزاحم من حوله صعب الأمر أكثر فأصبح من المستحيل عليه أن يرى شيئا على الاطلاق • لذا نجده يركض متقدما ، ويسبق الجمع • وربما ضحك عليه الناس :« انظر ! ان زكا يجرى ! الرجل الغنى يجرى ! ترى ماذا جرى لعقله ! »•

لكن زكا لم يركض متقدما فقط ، لكنه أيضا تسلق شجرة جميز وجلس فوق أحد فروعها • ربما سخر منه البعض ، والبعض كانوا يضحكون مستهزئين ويشيرون اليه ، ويتبادلون التعليقات عن الرجل القصير الجالس فوق الشجرة •

ثم جاء الرب يسوع ، ووقف تحت الشجرة ، ونظر الى فوق فرأى زكا جالسا على فرع الجميزة ينظر الى أسفل محدقا فيه • فالتقت عينا الرجل القصير المسكين بعينى رب المجد الفريد • وأنا أعلم أن زكا رأى على الفور أنه ينظر الى عيون المحبة المخلصة • هذا ما لا شك فيه • وكأن زكا قد قرأ فيهما :« ان ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك • اننى لم آت الى هنا بالصدفة • لقد كنت أعلم أنه يوجد انسان في أريحا قد

فقد طريقه في الحياة ، ولذلك فقد أتيت خصيصا لكى أطلب وأخلص هذا الانسان » •

فقال الرب :« زكا ! »• يا للصدمة ! كان زكا على وشك السقوط من فوق فرع الجميزة ، فلم يكن يخطر على باله اطلاقا أن الرب يعرفه !•« أسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم في بيتك »• ولاحظ أن الرب يسوع قال « ينبغى » ، وكأنه يقول :« اننى بسبب المحبة مضطر أن أمكث اليوم في بيتك ، مهما كانت حالته » •

فأسرع زكا ونزل • يا له من فرح غير متوقع ! يضع يده في يد يسوع مصافحا ، ذاك الذى لم يكن أحد في مجتمعه يسعده مصافحته • وهنا يد تمتد بالمحبة • لتعيده الى الكرامة •• لتعيد الى الكرامة عشارا ، خاطئا ، مرفوضا من الجميع •

اننا لا نسمع يسوع يعظ • انهما يسيران ببساطة ويد كل منهما في يد الآخر • فتغلغلت قبضة يد المحبة في حياة زكا ، وسرى دفء يسوع الى قلب ذلك الانسان المسكين الخاطئ ، محررة روحه ، رادة شخصيته اليه •

لم يخطر ببال أحد أن يخبر زوجة زكا أن الرب آت الى المنزل مع زوجها • لكن مع ذلك فقد أتى الجميع

وزحموا البيت . ويخبرنا لوقا أنه عنـدما استقبل زكا يسوع في بيته فانه « قبله فرحـا » . وعنـدما « رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين انه دخـل ليبيت عند رجـل خاطىء » . لكن زكا لم يبال بما كانوا يقولونه . لقـد قابل يسوع ، وهذا هو أعظم ما كان يصبو اليه .

عندئذ وقف زكا . كانت محبة المسيح قـد حررته فوجد لزاما عليه أن يقف متكلما . لقد أزيلت كل قوى الأنانية من حياته ، وفي فرحته الغامرة اذا به يقول :« ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين ، وان كنت قـد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف » .

ووفقا للناموس اليهودى فانه ان اعترف أحد بأنه قد أخذ ما ليس له (بدون أن يلقى القبض عليه ويحاكم لهذا السبب) فانه كان يلزم أن يرد ما أخذه . لكن هنا انسان يعلن بأنه سوف يرد أربعة أضعاف ! لقد حررته المحبة ، فلم يعد بعد عبدا للمـال ، وتغـيرت القيم التى تحكم حيـاته . كان الكتبة والفريسيون متضايقين ، والجميع كانوا يتململون ، فلم يسبق لهم أن سمعوا مثل هذا من قبل .

والآن لنأت الى الاعتراف الثانى :« ها أنا أعطى نصف

أموالى للمساكين » !. مهما أمتلك سوف أتقاسمه مـع فقراء أريحا ! يا له من يوم ! أود لـو استطعت أن أزور زكا في اليوم التالى مباشرة . اننى أتصوره وهو يرسل رسله ليدعو الناس لمقابلته في مكتبه ، فيأتى أحدهم مرتعشا مرتعبا متوقعا أن يطلب منه دفـع المـزيد من المال . لكن انصت ! « انظر يا صديق ، هل تذكر أنه كان عليك أن تدفع خمسين ، وقد جعلتك تدفـع ستين ؟ العشرة التى أخذتها منك زيادة سوف أردهـا لك . وأربعة أضعاف العشرة هى أربعون . ها هى . خذها » .

ـ ماذا ؟ !

ـ نعم ، هذا هو مالك .

ـ ماذا حدث ؟! اننى لم أر مثل هذا من قبل !

ـ يسوع زار بيتى بالأمس ، ولن أسرق فيما بعد . لقد وجدت ذاتى ، ووجدتك أنت أيضا ، ولن أستغلك ـ أو أستغـل غيرك ـ فيما بعد لكى أحقـق مآربى ، أو لأتسلق فوق انسان لكى أصل الى حيثما أريد أن أكون.

ويخرج الرجل من مكتب زكا يهز رأسه عجبا ، ويقول لأول من يقابله : « هـل تعرف ذلك الجابى ؟ لقـد تغير تماما ! لقد أعاد لى أربعة أضعاف ما اغتصبه منى ! » .

وتستطيع أن ترى آخرين آتين ليستلموا أموالهم ، والكل يتحـدثون عن النتيجة التى أسفرت عنها زيارة يسوع لمدينتهم •

في تلك الليلة لا نرى زكا يمر بفقراء المدينة مر الكرام انه يترفق بهم ويلاطفهم كما يفعـل بأصدقائه ، ويتقاسم معهم ما يمتلكه من مال • وعندما يسألون : « لماذا ؟ »، يكون جوابه :« لقد زار يسوع بيتى بالأمس ، ولم أعد فيما بعد عبدا لممتلكاتى • لقد حـررنى بكيفية جعلتنى أحس لأول مـرة أننى أملك ما لدى من مـال ، وأننى أستطيع أن أتصرف فيه كما أريد ، لأننى أملكه • وقبل الأمس كان المال هو الذى يملكنى » •

ان الناس يفقدون ذواتهم ، الى أن يأتى اليوم الذى فيه يعرفون حقيقة أنفسهم في ضوء محبة الله •

(٩)

المحبة المقوية

(داود ويوناثان)

« وقال صموئيل ليسى هل كملوا الغلمان ؟ فقال بقى بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم • فقال صموئيل ليسى أرسل وأت به لأننا لا نجلس حتى يأتى الى ههنا • فأرسل وأتى به• وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر• فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو • فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط اخوته • وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا • ثم قام صموئيل وذهب الى الرامة » ••

« فتمكن داود من الفلسطينى بالمقلاع والحجر وضرب الفلسطينى وقتله ، ولم يكن سيف بيد داود • فركض داود ووقف على الفلسطينى وأخذ سيفه واخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه • فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات هربوا »•

« وأخذ داود رأس الفلسطينى وأتى به الى

اورشليم ، ووضع أدواته فى خيمته .. وكان لما فرغ من الكلام مع شاول أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود واحبه يوناثان كنفسه .. وخلع يوناثان الجبة التى عليه واعطاها لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته » (١صم ١١:١٦ – ١٣ ، ١٧:٥٠و٥١و٥٤ – ٤:١٨) .

ثياب الأمير :

هل فكرت مرة هكذا : « اننى لا أستطيع أن أصبح مسيحيا مؤمنا فهـذا أمر صعب بالنسبة لى ، فبتاريخى القديم من الهزائم المتكررة أعتقد أننى أضعف من أن أعيش مؤمنا . ان ما هو مطلوب منى يعتبر مستحيلا ! مثال ذلك أن أرتدى أحشاء رأفات ، ولطفا ، وتواضعا ، ووداعة ، وطول أناة ... (انظر كو ٣:١٢) لكن ليس من يعرفنى كيف أفعل ذلك ! ».

حسنا ، ان السر الذى بواسطته تصير هـذه الأمور ممكنة نجده في (١صم ١٨)، في قصة الملك شاول عندما دعى الى قصره شابا من بيت لحم ليضمه الى نخبة رجاله.

وكان للملك شـاول ابن اسمه يوناثان ، كان وليا للعهد .« وكان لما فرغ (داود) من الكلام مع شاول أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه ».

تذكر أن مكان القصة هو قصر ، وأن يوناثان كان أميرا ، وأن داود كان مجرد شاب راع للغنم . ورغم أن داود في ذلك الوقت كان قد هزم الفلسطينى الا أنه لم يكن رجل حرب مدربا ، ونجاحه في هزيمة الفلسطينى كان بسبب أن روح الرب كان عليه . وبحسب الظاهـر ، كان داود شابا عاديا جدا ، وعندما سأل الملك أبنير رئيس الجيش : « ابن من هذا الغلام يا أبنير ؟ فقـال أبنير وحياتك أيها الملك لست أعلم » .

وداود ، غير المعروف ، وغير المتميز ، كان مثلى ومثلك تماما . والله يأخذ غير المعروفين ، وغير المتميزين ، والخطاة السائرين في درب الحيـاة ، ويدخلنا الى قصر بركاته العجيب .

وهل لاحظت أنه منذ البداءة أحب ابن الملك ، الأمير ذلك الشاب القروى ؟ لقـد أحب يوناثان داود كنفسه ! ومحبة يوناثان لداود هى التى أدخلته قصر الملك . وهذه هى الكيفية التى بها ندخل الى بركات الله ، على أساس محبة أمير المجد لنا . لقد أحبنا يسوع ، وضحى بنفسه لأجلنا ، وهذا هو أساس دخولنا للأمجاد .

لكن كيف تستطيع أن تبقى في قصر كهذا ؟ ألا ترى داود ، وهو ينظر الى نفسه ويقول :« لكننى مجرد انسان

قروى بسيط ! ملابسي ، وشخصيتى ، وسلوكى ...
كلها تتناسب مع فتى راع يرعى الغنم على الجبال • كيف أستطيع أن أعيش في هذا القصر الملكى بكل ما فيه من تصرفات مصقولة تليق ببيت الملك ؟»•

ربما كان يرتعش خوفا • لكن انظر :« وقطع يوناثان وداود عهدا لأنه أحبه كنفسه »• وتذكر أنه في كل العهود التى وردت في الكتاب المقدس فان الأكبر يبارك الأصغر، الذى يملك البركة يعطى من لا يملك ، القوى يبارك الضعيف • وها الأمير يقطع عهدا ، لذا نجده يأخذ زمام المبادرة •

ان الروح القدس يأخذك في أثمالك وثيابك الرثة ، ويوقفك أمام صليب الجلجثة • ويفتح عينيك لترى روعة وجه الرب يسوع المسيح ، ثم يقول لك :« تمهل قليلا »• وبأنفاس محتبسة تنتظر لترى السماء بأكملها مقدمة لك عندما تنظر الى قلب المحبة المفتوح في شخص المسيح المصلوب • ان عهده مؤسس على محبة ابن الله غير المتغيرة ، وليس على مشاعرك المتغيرة ، ولهذا فهو عهد قوى وثابت •

ان داود يقف منتظرا ، مرتعشا ، يسوده التوقع ، والخوف ، والاتضاع • فأخذه الأمير جانبا ، وأراه معنى

عهد الحب عمليا :« وخلع يوناثان الجبة التى عليه وأعطاها لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته » •

انظر الآن الى الفتى الريفى يقف هناك ، منذهلا تماما ، ومتعجبا للغاية ! لقد خلع الأمير كل ما كان له وأعطاه لهذا الشاب القروى • وداود يقف هناك كاملا • في يوناثان • لقد صار الشاب الريفى وكأنه أمير ، وحل الأمير مكانه •

هل تعلم نعمة ربنا يسوع المسيح ؟« فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢كو ٨:٩)• فأنت يا من تعيش في فقر روحى كامل ، تستطيع أن تتمتع بغنى المسيح نفسه • هذا هو العهد الجديد •

ان داود يتعجب جدا ، فهذا كثير ، بل كثير جدا • انه يصيح قائلا :« لكن لماذا ؟ لماذا تفعل كل هذا لأجلى ؟ هذا كثير جدا ! وأنا لا أستحق شيئا من كل ما صنعته لأجلى » • ان حساسية عجيبة تغمره ، فيشعر بما يشبه الانسحاق • هذا هو الانسحاق في المفهوم الكتابى ، الذى نحس به في حضرة ملك الملوك الذى علق على الصليب •

وعهد المحبة الكامل هذا كان عهدا عمليا • لم يكن

مجرد كلمات جميلة قيلت ، لكنه كان عملا كاملا أهل انسانا غير مستحق حتى يصبح لائقا بأن يعيش مع الملك، كوزير في القصر !

انظر الى ملك المجد • ألم يتبادل مكانه معك ؟ ألم يفتقر لأجلك ؟ ألا يظهر عريانا وبلا سلاح لأجلك ؟ ألا يظهر وكأنه ضعيف بغير منطقة قوته التى أعطاها لك ؟ لقد أخذ على نفسه كل ضعفاتك ، وذنوبك ، وعدم استحقاقك طواعية ، حتى يكسوك برداء بره •

عندما أتأمل عمل الصليب العجيب ، في نور هذه المحبة ، فانى أتعجب من نفسي ، فليست هذه هى صورتى الأصلية • تصور داود وهو ينظر الى نفسه في ثياب يوناثان ! ان الأسلحة هى أسلحة يوناثان ، والسيف ليوناثان ، والمنطقة ليوناثان • كل ما صار له ، الكل بالكامل هو ليوناثان •

أية أغنية تستطيع أن تتغنى بها في هذا الموقف ؟ لاشك انها أغنية الحمد للأمير الذى جعلك كاملا وقويا ، بينما كنت في الأصل على عكس ذلك تماما •

وعندما أحس أننى ضعيف ، أو غير كامل ، ما على الا أن آتى ثانية وأقف حيثما وقف داود في القديم ، أمام أميرى ، الذى هو أعظم من يوناثان بما لا يقاس ، الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى •

(١٠)
المحبة المتفهمة

(مرثا)

« وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مرثا فى بيتها • وكانت لهذه اخت تدعى مريم التى جلست عند قدمى يسوع وكانت تسمع كلامه • وأما مرثا فكانت مرتبكة فى خدمة كثيرة ، فوقفت وقالت يا رب ، أما تبالى بأن أختى قد تركتنى اخدم وحدى ؟ فقل لها أن تعيننى • فأجاب يسوع وقال لها مرثا مرثا انت تهتمين وتضطربين لأجل امور كثيرة ، ولكن الحاجة الى واحد • فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها »•

« وكان يسوع يحب مرثا ، واختها ، ولعازر » •

(لو ١٠ : ٣٨ ـ ٤٢ ، يو ١١ : ٥)

وصفة لأجل السلام :

حدثت هذه القصة في بيت ، وهذا هو سبب أهميتها ودلالتها •

ففى بيت عنيا يوجد بيت جميل ، كان يسوع يحب أن يذهب اليه ويرتاح فيه • فبعـــد الأيام المتعبة التى كان يقضيها في أورشليم ، معلما ، وواعظا ، ومواجها لتحديات قادة اليهـود ، كان يمشي مسافة ميلين الى بيت عنيـا •• ليقضي المساء هناك ، ويرتاح •

وفي بيت عنيا كان يسوع يجـد السلام • وحيـاتى وحياتك قصد بهمـا أن تكونا بيت عنيا ـ مكان راحـة يسوع •

قال السيد :« ان أحبنى أحـد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى ، وعنده نصنع منزلا » (يو ١٤:٢٣) •

في قلبى ! المقسم الممـزق ! كما هـو بمـرات فشله المتعددة ؟! نعـم ، فيه « نصنع منزلا »• اننا لا نقـرأ أن يسوع وعظ كثيرا في بيت عنيا ، أو أنه صنع معجزات كثيرة هناك • اذا ما الذى كان يجذبه الى بيت عنيا ؟ انها المحبة• « وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر » •

هذه عبارة بسيطة جدا ، لكنها تقدم لنا رؤى عجيبة • فيوحنا يكتب قائلا :« وكان يسوع يحب مرثا »• هذه هى الشخصية الأولى •« وأختها » ـ بدون أن يذكر اسمها •

« ولعازر » ـ الأخ • فالشخصية الرئيسية في الصورة هى مرثا ، تلك المرأة المرتبكة في الخدمة في بيت عنيا • فرغم أن الصورة تضم ثلاث شخصيات ، كلها تحب يسوع ، ويسوع يحبها كلها ، فلابد أن مرثا كانت صاحبة البيت ، لأن لوقا يقول :« فقبلته امرأة اسمها مرثا في بيتها » •

ربما كانت مريم هى الأصغر ، وفي بعض الأحيان كان اسمها ينسي • وهذا ليس بالأمر الهين بالنسبة لكثيرين • كثيرون منا يعرفون أنه ليس من السهل أن يختفى الانسان في ظل شخص آخـر • لكن هنا شخصية كانت في بعض الأحيان تعرف ببساطة بأنها أخت مرثا •

وكان هناك لعازر • لسنا نعلم ماذا كانت مهنته ، لكننا نعلم عنه أنه كان مع مرثا في البيت وأنه كان صديقا ليسوع كما كانوا جميعا • هنا المسيحية العملية ، أو الشركة التى يتمتع بها ثلاثة أشخاص في بيت يجتمعون فيه حول يسوع في الوسط •

ومـرثا ، الأكبر سنا ، والتى تختلف في الطبـاع عن مريم ، كانت تعبر عن حبها بالخدمة • كانت دائما مشغولة جدا ، في البيت ، كما في مجتمع القرية ـ فقد كانت معروفة تماما للجميع •

وبطريقتها المدققة في أداء كل شيء كانت مرثا من ذلك النوع الذى يتطلب الكمال في المطبخ • تصور ماذا كانت حالة مرثا وهى تعد الطعام ليسوع ! فكلما حل في منزلها كانت تعـد له أفضل الأطعمة ، كأدق وأجـود ما يكون الاعداد ، ومهما كانت التكلفة ، فهى لا تقبل بأى مستوى أقل • لذلك لا عجب ان كانت مشغوليتها هذه قد استغرقت كيانها بالكامل •

لا يوجد أى خطأ في أن تهتم المرأة بأعمـال المطبخ ، ويستطيع أى منا أن يخدم السيد في المطبخ كما من فـوق المنبر ، أو في خدمة خفية في عمل من أعمال الحياة اليومية كما في الخدمات التى تسلط عليها الأضواء ويراها جميع النـاس •

وعندما أتى يسوع الى بيتها في ذلك اليوم ، بدأت مرثا على الفور في اعـداد الطعام الذى سوف تقـدمه له ، في الوقت الذى فيه جاءت مريم وجلست عند قـدمى يسوع وكانت تسمع كلامه • وهذا جعل مرثا تغضب جدا ، لأنها تركت لتخدم وحدها • ومع ارهاقها بسبب العمل ، وغضبها من أختها ، نجدها تفقد سلامها ، وتندفـع من المطبخ الى

غرفة الاستقبال ، لتقدم شكواها للسيد ، وتفرغ لديه كل ما يعتمل في نفسها :

« يارب ، أما تبالى بأن أختى قد تركتنى أخدم وحدى؟ انها تجلس هنا ، بينما كان ينبغى أن تقف معى لتعيننى • انها تترك العمل كله لى ! » •

هذه كانت مرثا ، لكن مـا أكثرها شبها بالبعض منا ! أتعلم ؟ انه أمر جميل أحيانا أن تفرغ كل ما في جعبتك عند قدمى يسوع • ان تنفجر فتخرج كل ما يعتمـل في نفسك لديه • وثق أنه سوف يفهمك تمـاما ، بل تأكد أنه سوف يفهم • وشكرا لله لأن لنا مثل هذا المخلص الذى يستطيع أن يفهم انفعالاتنا ودوافعنا ، والذى اليه نأتى لنسكب كل ما يثور في دواخل نفوسنا •

لقد فهم يسوع مرثا •

هل نسيت مريم تمـاما ؟ كلا ، لا أظن ذلك ، لكنى أعتقد ببساطة أن شخصية مريم من ذلك النوع الذى عندما يجلس عند قدمى المخلص ، ليسمع ، فانها تسبى في حديثه تماما ، مهما كانت الأمور التى تجرى من حولها •

ولذلك فان يسوع قد فهم مريم أيضا •

اذا فلدينا مـرثا المنشغلة ، ومريم المستمعة ، ولعازر الصديق • أولئك الثلاثة كانوا محبوبين • هذا ما كانوا يتساوون فيه • لكن عقلياتهم كانت مختلفة ، وردود أفعالهم كانت مختلفة ، ومواهبهم كانت مختلفة • وكان لهم هذا الأمر الواحـد الذى يتساوون فيه ، أن يسوع كان يحب ثلاثتهم ، وكانت هذه المحبة هى أساس وحدة البيت • لو كان يسوع قد انتظر حتى تتقارب شخصياتهم ، ما صارت له أية شركة مع أسرة بيت عنيا على الاطلاق • فالقوة التى وحدتهم هى قوة محبة يسوع لهم •

لقد أحب يسوع مـريم عندما جلست عند قـدميه تستمع ، وعندما ذهبت الى المطبخ لتساعد أختها ، وعندما نسيت بعض الأشياء ــ كما يفعـل كثيرون منا أحيـانا ، وعندما بذرت بعض المال في شراء العطر الفاخر •

ولقد أحب مرثا في مشغولياتها • وعندما فقدت أعصابها فقد استمر حبه لها حينئذ ، لأنه كان يفهمها •

وعندما تقدمت مرثا للرب بشكواها نجده يقول لها : « مرثا مرثا ، أنت تهتمين ••• » • أليس هـذا جميلا فلم يقل المخلص :« مرثا ، لقد فقدت أعصابك لأن وجودك في

المطبخ أمر خطأ »، أو « لقد غضبت من أختك لأنك أعطيت عمل المطبخ اهتماما أكثر من اللازم » • ربما بعض هـذه العبارات يتفق مع الواقع ، لكن المخلص وجه اليها حديثه بمنتهى اللطف فقال :« يا عزيزتى مرثا ، أنت تهتمين • هذه هى المشكلة • وعندما تضطربين فان الطعام لن يكون كما تريدينه ، ويصبح المطبخ مكانا للاضطراب والقلق بدلا من أن يكون مكانا للراحة » •

أنتم تعلمون مقـدار لطف الرب يسوع • انه لم يلم مرثا ، ولم يدنها ، بل وجهها ببساطة قائلا :« عزيزتى مرثا، اننى هنا لأهب السلام ، ولقد أتيت لأقدم راحة للمتعب ، ولكى أعطى المضطرب اطمئنانا • أنت تحتاجين الى السلام الذى أستطيع أنا وحدى أن أعطيه • ان مطبخك سيمتلىء بسلامى ومجـدى ، وأطباقك سوف تتحـدث بالاختبار المبارك عن اعداد الطعام للمخلص • لكن مـا تعملينه فى المطبخ قد فقد جماله لأنك أنت فقدت سلامك • ولقـد فقدتيه بسبب اضطرابك »•

ان المحبة تتفهم المواقف تماما • هل ترى يسوع وهو يتداخل في حياة مرثا بكل مشغولياتها واهتماماتها ، ويقول لها :« أنا أقدر اهتماماتك ، وأفهـم مشغولياتك وقلقك ،

لكنك تحتاجين الى سلامى في ظروفك هذه • فعندما تقلقين يصبح عملك أثقل مما تستطيعين أن تحتملى ، حتى قبل أن تبدئيه ، ويصيبك التعب والارهاق قبل أن تكمليه »•

لم تكن محبة يسوع لمـرثا محبة عمياء ، لكنها كانت محبة متفهمة •

اننا نذكر مريم ونكرمها لأنها جلست عند قدمى يسوع في تكريس كامل ، لكن بعد عـدة سنوات يتذكر يوحنا القصة فيقول :« وكان يسوع يحب مرثا » •

(١١)

المحبـة الواثقة

(لعـازر)

« وكان انسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا اختها ... فارسلت الأختان اليه قائلتين يا سيد هوذا الذى تحبه مريض • فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت بل لأجـل مجد الله ليتمجد ابن الله به • وكان يسـوع يحب مـرثا واختها ولعازر • فلما سمع انه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين ، ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية ايضا »•

« قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام ، لكنى أذهب لأوقظه • فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهـو يشفى • وكان يسوع يقول عن موته ، وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم • فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات » •

« فلما اتى يسوع وجد انه قد صار له اربعة

ايام فى القبر . وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة . وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما » .

« وقال اين وضعتموه ؟ قالوا له يا سيد تعال وانظر . بكى يسوع . فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . وقال بعض منهم الم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا ايضا لا يموت ؟ فانزعج يسوع ايضا فى نفسه وجاء الى القبر، وكان مغارة وقد وضع عليه حجر . قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا اخت الميت يا سيد قد انتن لان له أربعة أيام ، قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ؟ فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا » .

« ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب » .

(يو ١١:١ و ٣-٧ و ١١ - ١٤ و ١٧-١٩ و ٣٤ - ٤١ و ٤٣ و ٤٤) .

ضباب فوق بيت عنيا :

وفجأة ، ذات يوم ، لم تعد بيت عنيا كما كانت . لقد مات لعازر ! ولم تستطع أختاه مرثا ومريم أن تصدقا .

وقبل ذلك ، كانتا قد بعثتا برسالة الى يسوع في عبر الأردن قائلتين : « يا سيد ، هوذا الذى تحبه مريض » . واعتقدتا أن في ذلك كل الكفاية لكى يأتى يسوع على عجل ، لكنه لم يأت ! يا للغرابة ! يا للصدمة !

هل عرف ؟ نعم عرف . وقرر الرسول أنه قد أخبره . ربما لم يكن يعرف مدى خطورة الحالة . ترى ما الذى أعاقه عن المجىء ؟!

والآن ، لقد مات لعازر !. ويا للفراغ الكبير الذى أحدثه موته في المنزل ، وفي حياة الأختين !. لكن لم يكن في مقدورهما أن تفعلا شيئا . وأتى اليهود ليعزونهما كما هى العادة في الشرق ، لكن محاولاتهم باءت بالفشل . لقد قرأوا بعض المزامير ، ورددوا بعض الصلوات ، لكن لعازر بقى ميتا يتحلل في القبر ، وكان القبر مغارة وقد وضع على بابه حجر .

موقف ميئوس منه ، لكن يسوع كان يفهم الموقف

تماما ، وأخيرا قال لتلاميذه :« لعازر حبيبنا قد نام ، لكن بالرغم من ذلك دعونا نذهب اليه »٠

ماذا ؟ تذهب الى انسان ميت ؟! لقد كان التلاميذ يعلمون ــ كما تعلم أنت وأعلم أنا ــ انه بعدما يموت الانسان فهو ميت ٠ تستطيع أن تذهب الى أسرته ان أردت ، لكنك لا تستطيع أن تذهب اليه ٠ فلقد انتهى ٠ لا تستطيع أن تتحدث معه فيما بعد ، لكنك تستطيع أن تتحدث عنه اذا رغبت ٠ ان الفجوة بين الحالتين شاسعة جدا ٠ هذا هو ما نعتقد به نحن ، أما السيد فكان يعتقد بخلاف ذلك ، فنجده يقول :« لكنى أذهب لأوقظه » ٠

والآن اسمحوا لى أن أنتقل من هذا المشهد قليلا ، لأن كل معجزة في العهد الجديد تحمل لنا تعليما خاصا ٠ فان موت لعازر حدث في بيت ، ويقول الروح القدس في الكتاب المقدس ان ما نحن فيه الآن من معاناة بسبب الخطية بدأ أيضا في بيت ، في أسرة ، بين آدم وحواء ٠ ولا أستطيع أن أخبركم كم هو عدد مرات مجيء المسيح الى بيوتنا عندما كنا نعانى من جفاف أو موت روحى ، بين زوج وزوجته مثلا ٠ قد تظنوننى انسانا ممتازا ، لكن زوجتى قد لا تشارككم نفس الرأى ٠ البعض يظنون أن الوعاظ وخدام الكلمة هم فئة متميزة ، لهم حياة فريدة لا تعتريها نوبات

الارتفاع والانخفاض كما يحدث مع الناس العاديين ٠ ويفترضون أن خادم الانجيل لابد وأن يحيا كمركبة الفضاء، بغير أثقال من أى نوع ٠ لكن ما أقل الذين اختبروا مثل هذه الحياة ! ٠

لكن الجميل في الأمر أنه عندما كانت بيت عنيا تجوز هذا الموقف المثقل ، ولم تكن مرثا ومريم تعرفان ماذا تفعلان ٠٠ جاء يسوع ٠

لقد كانت بيت عنيا تعيش في ضباب ، ولم يكن أحد فيها يرى الموقف على حقيقته ، بل ربما لا أتجاوز الواقع اذا قلت ان بيت عنيا كانت تعيش في ظلام ، ولم يكن هناك من يعرف شيئا عما حدث ــ لماذا حدث ؟ وعما سيحدث ٠ لكن جاء يسوع ، جاء الى مرثا ومريم ، وعيناه لا تنظران الموت ، أو الحزن ، أو القبر ٠٠٠ بل القيامة ، فقد كان يعرف لماذا جاء ، وكان هو الشخص الوحيد الذى لم يشمله الضباب الذى غطى بيت عنيا في ذلك اليوم ٠ لم تستطع أى منهما أن تفهما ما الذى يخططه يسوع ليفعله ٠ وأخيرا نجده يسألهما سؤالا هاما :« أين وضعتموه ؟»٠

بالطبع كان يسوع يعرف مكان لعازر ، اذا لماذا سأل ؟ لأن يسوع يتطلب دائما اعترافا صريحا بحقيقة الموقف كما هو ، ولن يبدأ عمله قبلما تعترف له بحالتك على حقيقتها ، وقبلما تعرفه باحتياجك بكل بساطة ٠

ولم يعفهم يسوع من مسئولية رفـع الحجر عن باب القبر ، ولم يعفهم من أن يشموا رائحة الموت العفنة . لكن من الجانب الآخر فقد « بكى يسوع » معهم ، وقال لهم : « ثقوا بى . ثقوا في محبتى ، فكل شيء سوف يتغير » .

وفي الحال نادى لعازر من بين الأموات :« لعازر هلم خارجا . ترى ما الذى خرج من القبر عند سماع هـذا النداء ؟ هل هو لعازر الميت ؟ كلا ، انه مجد قوة يسوع التى انتصرت على الموت . لقد تغير الموقف تماما .. من موت الى حياة .

نعم ، لقد تغير الموقف تماما ، من البكاء الى ترنيمات الحمد ، ومن النواح الى هتافات الفرح . لقد شهدت بيت عنيا تغييرا شاملا ، فلا دموع فيما بعد ، بل أفراح وأمجاد .

وأنت يا صـديقى ، ان كنت ترسل الدعـوة ليسوع ليشاركك في ظـروفك مهما تكن ، بغير أن تحـاول أنت تغييرها بمعرفتك ، بغير أن تحاول الالتفاف حـولها ، أو تجنبها ، أو طلاءها من الخارج بما يخفى حقيقتها ، فانك فيما بعد سوف ترجع بذاكرتك اليها وتشكر الله .

وسوف تعود بيت عنيا التى لك ، بيتا مريحا لشخصه مرة أخرى .

(١٢)

المحبة المغدقة

(مـريم)

« ثم قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى اقامه من الأمـوات ، فصنعوا له هنـاك عشاء . وكانت مرثا تخدم ، وأما لعازر فكان احـد المتكئين معه . فأخـذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها ، فامتلأ البيت من رائحة الطيب . فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطى المزمع ان يسلمه: لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعط للفقراء ؟ قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه . فقال يسوع اتركوها ، انها ليوم تكفيني قد حفظته ، لأن الفقراء معكم فى كل حين ، واما انا فلست معـكم فى كل حين » (يو ١٢ : ١ ـ ٨) .

بلا حدود !

شهدت قرية بيت عنيا حدثا فريدا ، معجزة خارقة غيرت جو القرية بأكملها ، فلقد أعاد يسوع لعازر الى الحياة مرة أخرى !

وعاد الرجل الى مجتمع القرية ، وجفت دموع الأختين . انه أمر عجيب ومبارك . ومن هذا الاختبار المفرح ، وفي احساس غامر بالعرفان بالجميل ، بدأ أهل بيت عنيا يرتبون لاقامة احتفال كبير ، وحفل عشاء عظيم . و« أتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات ، فصنعوا له هناك عشاء ، وكانت مرثا تخدم » .

كانت مرثا سيدة البيت المحبة العملية ، وكانت تتفانى في خدمة السيد ، واستخدمت كل مواهبها كسيدة بيت وكل خبرتها في أعمال المطبخ لكى تعد ليسوع عشاء تعبر به عن حبها العميق له . وفي الواقع لقد كانت في حيرة من أمرها ، فما أكثر أنواع الأطعمة التى ترغب في اعدادها في هذه المناسبة الخاصة بالذات ، فقد كانت تود أن يكون تعبيرها عن محبتها ليسوع تعبيرا تاما . وهل هناك ما يعادل مناسبة الاحتفال باقامة الرب لأخيها لعازر من الموت !

ثم هناك كانت مريم . لم تكن شخصية عملية كأختها فمرات عندما نقرأ عنها في العهد الجديد يكون انطباعنا عنها أنها شخصية عاطفية . وفي الواقع لقد كانت مريم شخصية محبة ، محبتها من ذلك النوع الذى لا يحسب حساب شيء ولا يقيم وزنا لشيء . محبة مغدقة .

نظرت مريم حولها فرأت أختها في غاية المشغولية ، ولعازر يجلس هناك بمنتهى الهدوء مع الضيوف والرب يسوع . ففكرت : « كيف أستطيع أن أعبر ليسوع عن مقدار حبى له ؟ ماذا أستطيع أن أفعل ؟ ماذا أستطيع أن أقدم ؟ » . فدخلت الى غرفتها ، وأحضرت عطرا يقول عنه الكتاب انه « كثير الثمن » . هذا كان كل ما في حوزتها . وأحضرت مريم هديتها الجميلة ليسوع ، وصبت كل العطر على قدمى يسوع . وبينما هى تفعل ذلك كانت في الواقع تقدم كل ما تملك ليسوع .

فالمحبة لا تستكثر شيئا !

هل قرأتم القصة التى بعنوان : « هدية ماجى »؟ انها احدى القصص المشهورة عن زوجين أمريكيين كانا فقيرين جدا ، ولم يكونا يملكان شيئا في العالم . لكن شعر الزوجة كان جميلا وطويلا ، يغطيها كرداء جميل مجيد . أما الزوج فكان في حوزته ساعة ذهبية توارثها من أبيه

وجده الأكبر ... هذان الزوجان كانا يحبان أحدهما الآخر محبة قوية جدا . وفي اليوم الذى يسبق عيد الميلاد أرادت الزوجة أن تقدم هدية لزوجها ، ولأنها لم يكن لديها مال كاف ذهبت الى محل لبيع الشعر وباعت شعرها ، فقصوا ذلك الشعر الجميل الطويل وأعطوها مقابله عشرين دولارا. وبهذا المبلغ استطاعت أن تشترى سلسلة ساعة ذهبية لتقدمها هدية لزوجها .

وفي نفس الوقت كان الزوج يفكر فيما يقدمه هدية لزوجته . وأخيرا قرر أن يبيع ساعته الذهبية ، فباعها ، واشترى بثمنها أجمل مشط ذهبى لشعر زوجته .

وفي المساء ، عندما عاد الزوج الى البيت ، وجد أن زوجته المحبوبة ليس لها شعر على الاطلاق ، وعندما قدمت له الزوجة السلسلة الذهبية لساعته اكتشفت أنه لم يعد يمتلك ساعة . كل منهما قدم للآخر كل ما يملك بدون أن يحسب النفقة .

هذا هو اغداق المحبة ، أو هذه هى المحبة المغدقة ، المحبة التى تقدم كل ما تملك بغير حساب .

لقد صبت مريم كل ما تملك عند قدمى السيد بغير أن تبالى بالتكلفة . قدمت كل ما تملك ، لكن بتواضع .

فاليهود يبدأون المسحة بالرأس ، وبصفة خاصة عندما يستعملون عطرا غاليا كهذا ، لكن مريم لم تعتبر نفسها مستحقة لشرف دهان رأس يسوع ، ولذلك نجدها تدهن قدميه .

وبما عملته ، كانت مريم تعبر عن محبتها ، وعما تدين به للسيد . وكان تعبيرها عميقا جدا لدرجة لمست قلب المخلص . لقد عبرت مريم عن محبتها ليسوع بطريقة تلقائية ، فتلك المحبة الغامرة التى تملكتها جعلتها لا تلقى بالا الى ما يدور حولها ، فنجدها تحل شعرها (وهذا ما لا تفعله النساء الفلسطينيات في وجود الغرباء) أمام كل الضيوف الحاضرين في تلك المناسبة . فعلت ذلك بطريقة تلقائية ، وبدون أن تتلفت حولها لترى من الذى ينظر اليها، أو ينتقدها ، فكل انتباهها كان مركزا في السيد ، الذى فعل الكثير لأجلها ولأجل أخيها .

وفي الواقع ، كان يسوع في محبته الأكثر اغداقا والأكثر عطاء من كل ما يمكن أن يخطر على بال مريم . ففى محبة وسخاء كاملين حجب مجده ، وأخفى سلطانه ، وصار مثلنا . هذه هى المحبة الأكثر اغداقا وسخاء من كل ما عرفته البشرية . وأنتم تعرفون الى أين قادته هذه المحبة . هناك على صليب الجلجثة ! لقد صار خطية لأجلى ولأجلك

ذاك الكامل عـومل كمجرم • وعلى الصليب علق عريانا ، مغطى بالخزى والعار ، وحيدا بلا صديق ولا رفيق ، لكى يحتضن عالما عريانا وحيدا يغطيه الخزى والعار •

ان بذل يسوع لنفسه هو أصدق تعبير عن المحبة المغدقة الباذلة • كتب أحدهم يقول :« لو أردت عبارة تعلق على صليب المسيح لتبين التهمة التى قـادته الى الصليب ، فهى هذه : أحب بغير حدود »• ولقد ثبتت عليه هـذه التهمة وأدين •

ولأن محبة يسوع كانت بهذه الكيفية نجـدها تفتح قلب مريم ، فصبت قلبها مع طيبها • ولو سألتها :« ألـم تفعلى الكثير ؟ »، لهزت رأسها وقالت :« كلا ، لم أفعل ولا جزءا من مائة مما فعله فى محبته لى • انه يستحق أكثر بكثير مما أستطيع أن أقدمه أو أفعله لأجله » •

ويقول يوحنا ان البيت كله قد امتلأ من رائحة الطيب• كل البيت ! ان الحيـاة التى نسكبها عند قـدمى يسوع تصبح ملكا للعالم أجمع • فعندما تتحرر النفس بهـذه الكيفية ، وتقدم كل ما عندها عند قدمى يسوع : الحياة ، والمواهب ، والصوت ، والمال ، والوقت ••• والكل ، عند قدمى السيد ، فيا له من أمر جميل ! ان رائحة هذه الحياة تنتشر فى كل مكان وتحمل نسيما منعشا لأرواح الكثيرين•

مرات أقول لنفسي :« آه ! لو كانت لى عشرون حياة أخرى لكرستها للمسيح ووضعتها كلها عند قدميه » .

قـال شاب أفريقى لأحـد مواطنى بلادى ، أوغندا : « انك حقا موهوب جدا ، لكنك أهـدرت موهبتك بأن أصبحت واعظا فى الأسواق والكنائس • كان من الأجدى أن تصبح سياسيا ، فبذلك تستطيع أن تنتفـع بمواهبك الفريدة »• فنظر ذلك الأخ الى الشاب وقـال له :« انك لا تعرف ما تتحدث عنه »• نعـم ، لم يكن ذلك الشاب يعرف أنه عندما توضع حياة ما عند قـدمى يسوع فانها تتغير ، ويعاد تشكيلها ، وتمتلىء ، وتستخـدم ، وتصبح ملكا للعالم أجمع •

لست بحاجة أن تكون انسانا غير عادى ، فنادرا مـا يستخدم يسوع أشخاصا غير عاديين • انه يأخذ بشرا عاديين بسطاء ، ويحررهم ، ويغفر لهـم ، ويطلقهم أحرارا • وفى احساس غامر بالامتنان ليسوع ، نجدهم يضعون أنفسهم تحت تصرفه • ويا للتغيير العجيب الذى يتمتعون به !

ان الحيـاة التى توضع عند قـدمى يسوع ، والتى تسكب لأجله ، لا يمكن أن تبقى فارغة أبدا ، ولا يمكن أبدا أن تعانى من الفراغ • بل الأكثر من ذلك فان ينابيع

متدفقة تنبع من هذه الحياة ، فتفيض •• وتفيض •• فتملأ البيت كله ، وتملأ المجتمع كله • ولو أن قليلا من النفوس تكرست بحق ليسوع ، لملأت رائحة طيبها كل أرجاء المجتمع •

بعضا يعانى بسبب التأجيل • لنفرض أن مريم قالت: « ليس هذا هو الوقت المناسب • ان يهوذا لابد وأن يجد ما يوجهه لى من انتقادات • وسوف ينظر الى الجميع باعتبارى امرأة عاطفية • من الأفضل أن أنتظر الى أن تحين فرصة أكثر ملاءمة »• فمتى سوف تتحقق لها هذه الفرصة الأكثر ملاءمة ؟

لقد صاغ يهوذا انتقاده بكل حرص :« لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعط للفقراء ؟ »• يا للمسكين البائس ! فيوحنا يقول انه « قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء ، بل لأنه كان سارقا ، وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه » •

لكن يسوع ، الذى كان هو نفسه نبع المحبة المغدقة، قدر سخاء محبة مريم ، وقال :« اتركوها • لا تزعجوها • لقد فعلت حسنا • لقد فعلت أجمل ما يمكن أن يعمل »•

وأنت أيضا ، تستطيع أن تفعل نفس الشيء بأن تسمح

للروح القدس أن يسكب حياتك عند قدمى السيد ، كالطيب • وتذكر أنه حتى يهوذا ، الذى اعترض كثيرا على ما فعلته مريم ، حتى يهوذا هذا كان ضمن الذين تمتعوا برائحة الطيب التى ملأت البيت كله • وبالمثل فان أولئك الذين يوجهون اليك الانتقاد ، لابد وأن يعترفوا برائحة الطيب التى تفوح من أفعالك •

ان يسوع الذى أحبك محبة مضحية مغدقة ، قد دفع ثمنا غاليا جدا ، قد دفع أغلى ثمن في العالم ، لأجلك • لم يستكثر شيئا ، ولم يعز شيئا ، بل ضحى بالكل •

وعندما تعطى ما تملك ليسوع ، فان يديك لا تصبحان فارغتين ، بل تمتلئان بمحبة يسوع • فلتحبه باغداق ، فيصبح لك الملء الذى يملأ حياتك •

(١٣)

المحبة المعلمة

(يسوع وتلاميذه)

« واخذ خبزا وشكر وكسر واعطاهم قائلا هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ، اصنعوا هذا لذكرى . وكذلك الكأس ايضا بعد العشاء قائلا هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم ، ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة ، وابن الانسان ماض كما هو محتوم ، ولكن ويل لذلك الانسان الذى يسلمه . فابتداوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا . وكانت بينهم ايضا مشاجرة من منهم يظن انه يكون اكبر » (لو ٢٢ : ١٩ — ٢٤) .

« اما يسوع قبل عيد الفصح ، وهو عالم ان ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب ، اذ كان قد احب خاصته الذين فى العالم احبهم الى المنتهى . فحين كان العشاء وقد القى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الاسخريوطى ان يسلمه ، يسوع وهو عالم

ان الآب قد دفع كل شىء الى يديه وانه من عند الله خرج والى الله يمضى . قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماء فى مغسل وابتدا يغسل ارجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها . فجاء الى سمعان بطرس ، فقال له ذاك يا سيد أنت تغسل رجلى ! اجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد . قال له بطرس لن تغسل رجلى أبدا . اجابه يسوع ان كنت لا اغسلك فليس لك معى نصيب . قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلى فقط بل أيضا يدى ورأسى . قال له يسوع الذى قد اغتسل ليس له حاجة الا الى غسل رجليه ، بل هو طاهر كله ، وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم . لأنه عرف مسلمه لذلك قال لستم كلكم طاهرين .

فلما كان قد غسل أرجلهم واخذ ثيابه واتكأ أيضا قال لهم اتفهمون ما قد صنعت بكم ؟. انتم تدعوننى معلما وسيدا وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك ، فان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض . لأنى أعطيتكم

مثـالا حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضا . الحق الحق أقـول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم من مرسله . ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموه »

(يو ١٣ : ١ ـ ١٧).

« ثم سبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون »

(مر ١٤ : ٢٦)

قدماك ، من فضلك !

في تلك الليلة كانت أعصـاب التـلاميذ مشدودة ، وأفكارهم مركزة في ذواتهم . ومـع ذلك فقد كان ذلك اليوم من أهم الأيام في حياة السيد .

هناك في العلية ، كانت الأمسية الأخيرة التى فيها يقدم الرب أفكاره لتلاميذه ، هـؤلاء الرجـال الذين سوف يصبحون مسئولين أن يوصلوا كلمته للعالم المنتظر . فعلى هذه المجموعة الصغيرة من الرجال كان يتوقف نشر بشارة الانجيل للعالم أجمع .

لكن ماذا كانوا يفعلون ؟

يقول لوقا :« وكانت بينهم أيضا مشاجرة من منهم يظن

أنه يكون أكبر ». لقد كانوا يتشاجرون علانية بعضهم مع بعض عمن هو أكثر أهمية من غيره . لقد أفسدوا جو تلك الأمسية تماما .

وعندما نظر يسوع اليهم لم يصدم ، لكنه كان يحس بالوحدة ، لأنه كان يعلم « أن ساعته قد جاءت لينتقل من العالم الى الآب ». وبالرغم من كل شيء فانه « كان قـد أحب خاصته ». أحب الاثنى عشر ، جميعا . ولم تتأثر محبته لهم بأنانيتهم ، أو افتخارهم ، أو رغبتهم في الرئاسة . وكان يعرف أيضا عن خيانة يهوذا ، لكن شيئا ما في شخصياتهم أو سلوكهم لم يكن ليحوله عن هدفه . لقد « أحبهم الى المنتهى » .

كان يعلم تماما من هو ، ومن أين أتى ، والى أين هو ذاهب ، وما الذى يريده من تلاميذه ، أن يكونوه ، وأن يفعلوه . لكن كيف يستطيع أن ينقل فكره الى أفكارهم بينما هم يتشاجرون فيما بينهم من يكون الأعظم ؟!.

ورغم ادراكه التام لعظمة مركزه في المجد ،« وهو عالم أن الآب قد دفـع كل شيء الى يديه ، وأنه من عنـد الله خرج ، والى الله يمضي ، قام عن العشاء ». وللحال تحول

انتباههم جميعا اليه • لقـد كان ضيف الشرف ، وما كان ينتظر الا من خادم أن يقوم عن العشاء • ثم « خلع ثيابه »، وقبل أن يستفيقوا من هـذه الصدمة رأوه وقد « أخـذ منشفة ، واتزر بها ، ثم صب ماء في مغسل » •

كان التـلاميذ ينظرون مشدوهين • ثم قـال يسوع ليوحنا ، أقرب التلاميذ اليه :« قدماك ، من فضلك » !• قدماى ! ما هذا ؟! فعند اليهود كانت الأقدام هى أقل أجزاء الجسم احتراما • العبيد فقط هـم الذين يلمسون الأقدام • لكن يسوع كرر كلماته ثانية :« قدمـاك ، من فضلك » ! ورأى يوحنا يدى السيد تمتدان • نفس اليدين اللتين شفتا الأعرج ، وأسكتتا العاصفة ، وأعادتا البصر للأعمى • يدى ابن الله الأزلى الأبدى •

« أتعنى أن هاتين اليدين المبـاركتين سوف تلمسان قدمى ؟ ! » •

وكأن تيارا كهربائيا قد سرى فيهم جميعا ، وران صمت مطبق على المكان ، ولم تعد فيما بعـد تسمع أصـوات الشجار المحتدم • وبينما يوحنا ــ بتردد شديد ــ يقدم قدميه الى الأمام على مضض ، كان كل واحد يفكر • لقد تذكروا المهمة التى كان يجب أن يقوم بها شخص ما عندما

دخلوا الى العلية ، فكان يجب أن يقدم أحدهم ماء لغسل الأرجل المتسخة ، لكن ولا أحد منهم كان على استعداد أن يقوم بهذا العمل الذى هـو من اختصاص العبيد ، فكلهم كانوا يفكرون في مركزهم ومكانتهم ومن هو الأعظم فيما بينهم • والآن ها هو السيد يأخذ مكان العبد !! •

« قدمى يا سيد ؟ ! »•

لقد كان عملا مجازيا رمزيا • فالمتسخة فعـلا كانت قلوبهم التى يسودها الشجار ، لكن أقدامهم قدمت مثالا مناسبا لحالة قلوبهم •

وتم غسل رجلى يوحنا ، وكان بطرس ينظر وهو يغلى غضبا • لكن يسوع اتجه الى يهوذا ، فهو لم يغسل فقط قدمى التلميذ المحبـوب ، بل أيضا توجه نحـو التلميذ الخائن ، وقال :« يهوذا ، قدماك من فضلك » •

وهكذا ، واحدا بعد الآخر ، غسل أرجلهم المتسخة • الجميع كانوا يحسون بالخجل ، وقد نسيت مسأله الرئاسة والأهمية تماما ، وانتهى الشجار •

وسادهم سكون رهيب ، الى أن حـل دور بطرس ، فاعترض بطرس بالطبع ، فهذا أمر منطقى يتفق مع شخصيته التى نعرفها : « كلا ! كلا ! كيف أستطيع أن أسمح للسيد

أن يغســـل قـدمى ؟ ! قـدمى المتسختين ؟ ! أبدا ! لن يكون هذا » .

« يا سيد أنت تغســـل رجلى ؟! ... لن تغسل رجلى أبدا ». واذا بيسوع يجيبه بهدوء قائلا :« لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعـد ... ان كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب » .

« مـاذا ؟ لكن ما هى العـلاقة ؟ ما هى أهمية غسل الأرجل في هذا المقام ؟ لقد تركت مهنتى كصياد سمك منذ ثلاث سنين ونصف ، والآن تقول انك ان لم تغسل رجلى فليس لى معك نصيب ؟! » .

« نعم يا بطرس ، فيسوع وحده هو الذى يستطيع أن يغسل الضمائر ، وأنت لا تستطيـع أن تحمل الأخبـار المفرحة وأنت تسير بقدمين متسختين . ولأن ابن الله وحده هو الذى يقدر أن يطهر الحياة الملوثة ، فأنت في حاجة الى غسل » .

واذا ببطرس ، المندفع ، يأخـذ الاتجاه المغاير تماما :

« يا سيد ، ليس رجلى فقط بل أيضا يدى ورأسي ». لكن الرب أجابه قائلا :« كلا يا بطرس . لا داعى لأن تخبرنى ماذا أغسل ، فأنا أعرف ما الذى يحتاج الى غسل . وأنت

ما عليك الا أن تدعنى أغسل ما أريد . والآن ، فان ما يحتاج الى غسل هو القدمان فقط ». والآن ، لنحاول أن نعى الحقيقة التى أراد المعـلم العظيم يسوع أن يعلمهم اياها . لقد كان يحاول أن يجذب انتباههم الى ما سوف يحدث في الجلجثة . فالمسيح قد قام فعلا من على المائدة في السماء ، في المجد ، حيث مكانه بجوار الآب (انظر في ٢ : ٥ ــ ٨)، وخلع عنه ثياب بهائه ، وأخلى نفسه .

وفي جسد بشريته أخـذ منشفة واتزر بهـا ، فصار خادما ، بل عبدا . وفي النهاية ، على صليب الجلجثة ، لم يستخدم ماء في مغسل ، بل عنـدما اخترقت الحربة جنبه تدفق منه دم وماء ، ويا له من ثمن غال دفعه لكى يغسلك ويغسلنى !

وهكذا غسل الاثنى عشر . ألا ترى معى كيف غـير الجو تماما ؟ فالآن ، ها دواخلهم تذوب خجلا من كبريائهم وبدأت الشركة تسرى من جـديد فكل منهم أصبح الآن يرى الآخرين مساوين له تماما . كلهم كانوا في حاجة الى الغسل على قـدم المساواة . كلهم كانت أرجلهم متسخة بدون استثناء . كلهم كانوا في حاجة الى يسوع ، ليغسلهم .

أيها الاخوة والأخوات ، الذين يعيشون في هذه الأيام

بأعصاب متوترة ، ومشاعر أنانية مركزة في الذات ، ان يسوع يأتى اليوم الى كل واحد منا بغير استثناء ، مزمعا أن يغسله ، ويمد يديه قائلا : « قدماك ، من فضلك » !•

انه يريد أقدام حياتنا اليومية ، التى تتسخ أثناء مسيرنا في هذا العالم ، بينما نذهب هنا وهناك ، ونقابل هذا وذاك ، ونحن نشترى لوازمنا ، ونواجه مشاكلنا المالية •••

وهو يقول :« ان لم تغتسل قدماك بواسطة الدم والماء اللذين سالا من جنبى على الصليب فلن تقدر أن تكون لك شركة معى ، أو أن يكون لك معى نصيب • سوف تستمر في عضوية الكنيسة ، لكنك تكون وحيدا بلا شركة • ان كان الجو في بيتك ملبدا بالتوتر ، أو مشحونا بالأعصاب المشدودة في وسط جماعتك ، فقط اعطنى قدميك لأغسلهما » •

ومن ذلك اليوم فصاعدا أصبح هؤلاء الرجال الذين كانوا في العلية في تلك الليلة اخوة ، يدينون بالولاء الكامل للرب يسوع ، الذى هو مركز الدائرة •

ويقول مرقس انه في نهاية الاجتماع « سبحوا وخرجوا

الى جبل الزيتون »• هل تستطيع أن تتخيلهم وهم يرنمون في بداية الاجتماع ؟ عندما دخلوا العلية وهم يتشاجرون ؟ انهم حينئذ كانوا بالكاد يستطيعون الكلام ، فما بالك بالترنيم • لكن الآن ، فان شيئا عجيبا قد حدث • لقد حطم حبه كل الحواجز ، فصاروا يتبادلون كلمات المحبة ، ثم ابتدأوا يرنمون !

(١٤)

المحبة المفتدية

(الجنود واللصوص)

« وجاءوا ايضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه . ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحد عن يمينه والآخر عن يساره . فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون. واذ اقتسموا ثيابه اقترعوا عليها .

وكان الشعب واقفين ينظرون ، والرؤساء أيضا معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله والجند أيضا استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له خلا قائلين ان كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك . وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية هذا هو ملك اليهود . وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلا او لا انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا نال

استحقاق ما فعلنا ، وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله . ثم قال ليسوع اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك ، فقال له يسوع الحق اقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٣٢ – ٤٣) .

من فوق الصليب :

الصليب هو المكان الذى يأتيه الكل على قدم المساواة فمهما كان مركزك فانك عند الصليب تتساوى مع باقى الناس . اذا أنا ذهبت الى الصليب كأسقف ، فانني أكون في خطر أن أفقد رتبتى . قد أكون أسقفا في الكاتدرائية ، أو في رئاسة لجنة من اللجان ، لكن ليس عندما أقترب من الصليب ، لأننى أقف هناك في حضرة الفادى الوحيد المجيد .

عند قدمى الصليب يتاح للجميع على قدم المساواة أن يقتربوا الى الله ، فهناك نستمع الى صوت يسوع المدوى يأتينا من فوق الصليب . اسمعه يقول :« يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ». هل يستطيع انسان ما أن يستمع الى هذه الكلمات – سيما في الظروف التى قيلت فيها – دون أن يتأثر ؟

لكن أية ظروف ؟

ابن الله الوحيد من السماء ، يسمره الجنود الى الصليب • انه يقاسي ــ ظلما ــ آلاما مرعبة ، ووحدة ، وعريا ، لكن من وسط تلك الآلام المريرة تأتى الكلمات : « يا أبتاه اغفر لهم » ! •

انه في نعمته الغامرة الغافرة ، يعطي مسمريه فرصة افتراض أنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ، وأنهم فعلوا ما فعلوه كما يتممون أى واجب آخر من واجبات حياتهم اليومية ، وأنهم نفذوا الأمر الصادر اليهم بتسميره على الصليب كاجراء روتينى كما في تنفيذ كل الأوامر الأخرى •

هل تعلمون أن الروتين هو أحد أسوأ الأمور التى تقتل الروحانية ؟ فالخادم يدخل الكنيسة ، ويعظ ، ثم يخرج من الكنيسة • وهو يفعل ذلك يوما بعد الآخر ، الى أن تصبح الخدمة بالنسبة له مجرد روتين ، ويصبح هو آلة تسجيل ، على شعبه المسكين أن يسمعها مرة بعد الأخرى •

ان الروتين يقتل الروحانية • انك لا تقصد أن الأمور تصل الى ذلك ، لكن هذا هو ما يحدث • وكما فعل أولئك الجنود ، فأنت تجد نفسك ملتزما بأن تؤدى واجبا ، فتؤديه •

أولئك الجنود كانوا أعزاء جدا على قلب الرب يسوع

فتحدث عنهم الى الآب : « يا أبتاه اغفر لهم » • لقد التمس لهم الأعذار • وربما اعتنق بعضهم المسيحية فيما بعد ، ولذلك فقد قصد الفادى أن يضمن أنهم لن يقعوا تحت التبكيت المرعب بأنهم قد صلبوا ابن الله • فمن المستحيل أن يغفر الانسان لنفسه فعلة كهذه ، لذلك فقد جهز لهم الغفران قبل أن يعرفوا أنهم محتاجون اليه • فما كان يسوع يعلم أن الجنود لن يغفروه لأنفسهم أبدا غفره لهم مقدما • هذه هى مبادرة الله في تقديم الخلاص ، وهذه هى طريقته في كل أعماله وخططه ، فنحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا •

ان الله ، في الصليب ، يقدم للانسان غفرانا لا يستطيع هو أن يهيئه لنفسه ، وهذا هو محور رسالة الانجيل • وهو بذلك يدعو كل الناس : الأفراد المهملين ، والخدام المهملين ، والأساقفة المهملين ، والمبشرين المهملين ، وأولئك الذين تعاملوا مع رسالة الانجيل كمجرد روتين ، وأولئك الذين أصبحت خدمتهم أداء لواجب ــ انه يدعو كل هؤلاء ، ويشير اليهم وهو يخاطب الآب قائلا : « يا أبتاه اغفر لهم » •

والغفران ــ في العهد الجديد ــ عمل مكلف للغاية • ليس عملا رخيصا على الاطلاق • فكلمات الغفران التى

نطق بها يسوع كان ثمنها الدم ، والعرق ، والألم بلا حدود •

ان قدمت لى غفرانا رخيصا فلن يصل الى • فقد تجاملنى ، وتحاول أن تجتذبنى ، وتطعم جسدى ، وتتركنى حطاما في الداخل ، فأنا أحتاج الى الغفران الذى يستطيع أن ينفذ الى أعماقى •

وعلى الصليب أتيحت ليسوع فرصة أخرى أن يستعمل نعمته وغفرانه ، فعلى جانبيه رجلان ، على صليبين ، كلاهما مجرم ، كلاهما محكوم عليه بالموت ، ولا رجاء • كلاهما فشل وانهزم أدبيا ، كلاهما مدان ومحكوم عليه من ضميره • ولو لم يوجد ذاك المعلق بينهما على الصليب ما كنا قد عرفنا الفرق بينهما أبدا ، فوجوده معهما هو الذى أبرز هذا الفرق •

لكن لماذا ؟

لأن الرب يسوع المسيح شخصية فريدة ، ولا يمكن أبدا لأى انسان أن يوجد في حضرته ـ سيما وهو معلق على الصليب ـ وينجح في اخفاء حقيقة حالته ، فيسوع ينتزع كل انسان من خلف القناع الذى يستتر به ، واذا يتعرض لمحبته الدامية لا يمكن الا أن يظهر على حقيقته •

واحد من المصلوبين رفض محبة المسيح المقدمة له ، ولم يستطع أن يتجاوب معها اطلاقا ، فابتدأ يخرج ذاته من نبع أنانيته ويلقى بها في وجه يسوع •

أما الآخر فقصة أخرى !

لقد انتزعته المحبة من ماضيه ، ومن خلف مظهر الشر والاجرام بدت نفس مختلفة تماما تجاوبت مع المحبة الأبدية • وعندما بدأ زميله يجدف على يسوع تصدى له قائلا :« هل تظن أننا ننتمى لمجموعة واحدة مع ذاك المعلق بيننا ؟ ألم تكتشف بعد أنه شخص مختلف فريد ؟ »• لكن كيف عرف ؟ لقد سمع كلمات يسوع :« يا أبتاه اغفر لهم »، ولعلها كانت السبب فيما حدث له من تغيير • لقد فتحت عينيه ، فاستطاع أن يلمح من يكون يسوع ، بل أكثر من ذلك فلقد اعترف بيسوع ملكا وقال :« اذكرنى يارب متى جئت في ملكوتك »• لم يطالب بأى شيء لنفسه ، لكنه قدم طلبا بسيطا ، وبذلك فان وجود يسوع بجواره على الصليب أظهر للعيان جمال نفس هذا الانسان ، هذا الجمال الذى ظل مختفيا زمنا طويلا خلف الخطية والشر •

ان عالم اليوم يحتاج أن يقف مواجهة مع يسوع المصلوب • ونحن أيضا نحتاج ذات الشيء • ان الوصايا العشر توقف الناس أمام قداسة الله ، لكنها تتركهم

يرتعدون في سيناء ، أيديهم وأقدامهم موثقة ، فهذا هـو ما يفعله الناموس . انه يقيدنا جميعا كبشر خطاة لا يقدرون بمجهوداتهم أن يتمموه ، روحيا أو أدبيا .

لكن تعال الى يسوع .. والى الصليب . وبالرغم من أنه يكشف حقيقتك ، ويخرج ما يعتمل في داخـل نفسك الى النـور ، فان شيئا آخـر يحدث .. المجـرم يصبح قديسا !

فأجابه يسوع :« الحق أقول لك انك اليـوم تكون معي في الفردوس ». اياك أن تظن أن اعتراف اللص أكسبه الغفران . كلا . فالصليب لم ينشيء غفـرانا ، بل الغفران هو الذى أوجـد الصليب . الصليب لم يأت بالنعمة ، بل النعمة هى التى أتت بالصليب الى الوجـود :« لأنه هكذا أحب الله العالم ...» (يو ١٦:٣). هذه هى الكيفية التى بدأ بها الصليب . المحبة أولا .

في بعض الأحيـان نعطى الانطباع أن شرط الحصول على الغفران هو التوبة . لكن من أين تأتى التوبة ؟ بالنسبة لى فان التوبة هى رد الفعل الذى يتجاوب مع تلك المحبة السماوية الغامرة . فحالما أظهر في نور محبة يسوع المسيح على الصليب تصبح التوبة أمرا حقيقيا واقعيا في حياتى .

وبدأ اللص المتجدد حديثا يختبر شركة الصليب ، ولأنه قوبل بترحاب أحس بارتياح كامل . أتعلمـون اننا نحن المسيحيين — ليس المسيح ، ولا الصليب — الذين نجعل طريق الانضمام الى عائلة الله صعبا بالنسبة للبعض . اننا نتحدث بكلمات كبيرة عن المحبة ، لكن عندما يحين الوقت لنحتضن شخصا لا يروق لنا تتغير الحال ، وننسي أن يسوع ليس فقط يقبل هذا الانسان ، بل أيضا يحبه .

اننا لا نختار أفراد عائلاتنا ، وحتى ان كنا لا نتوافق مع البعض منهم ، أو لا نعجب بهم ، فان هذا لا يغير شيئا من نسبتنا بعضنا للبعض ، فاننا نظل عائلة واحدة . ويقول العهد الجديد انه عند صليب الجلجثة ، فاننا بقوة المسيح قد دخلنا في علاقة جديدة مع كل أنواع الناس : مجرمين ، خطاة ، سكيرين ، زناة ... الكل هناك .

ان كنت واعظا فأنت تقابلهم باستمرار ، وحتى ان لم تكن واعظا فـلابد وأن تقابلهم ، فهم أعضاء مباركون في أسرة الله . أعضاء اجتذبتهم محبة الله ، وأنت تحتـاج الى نفس المحبة لكى تحبهم . اطلب من الله أن يعطيك هـذه المحبة ، لكن تذكر أنهـا محبة مكلفة ، فلا توجـد محبة رخيصة في العهد الجديد ، بل محبة غالية .

(١٥)

المحبة المثبتة

(بطرس)

«بعد هذا أظهر أيضا يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية . ظهر هكذا : كان سمعان بطرس وتوما الذى يقال له التوام ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم . قال لهم سمعان بطرس انا اذهب لأتصيد . قالوا له نذهب نحن ايضا معك . فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت ، وفى تلك الليلة لم يمسكوا شيئا . ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطىء ، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون انه يسوع . فقال لهم يسوع يا غلمان العل عندكم اداما ؟ اجابوه لا . فقال لهم القوا الشبكة الى جانب السفينة الأيمن فتجدوا . فالقوا ولم يعودوا يقدرون ان يجذبوها من كثرة السمك . فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب، فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب أتزر بثوبه لأنه كان عريانا وألقى نفسه فى البحر..

قال لهم يسوع هلموا تغدوا . ولم يجسر احد من التلاميذ ان يساله من أنت اذ كانوا يعلمون أنه الرب ...

فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ قال له نعم يارب أنت تعلم أنى أحبك . قال له ارع خرافى . قال له أيضا ثانية يا سمعان بن يونا أتحبنى ؟ قال له نعم يارب أنت تعلم انى أحبك . قال له ارع غنمى . قال له ثالثة يا سمعان بن يونا أتحبنى ؟ فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة أتحبنى ، فقال له يارب أنتَ تعلم كل شيء ، أنت تعرف أنى احبك . قال له يسوع ارع غنمى . الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء ، ولكن متى شخت فانك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء . قال هذا مشيرا الى اية ميتة كان مزمعا ان يمجد الله بها ، ولما قال هذا قال له اتبعنى»

(يو ٢١ : ١ - ١٩)

افطار على الشاطى :

اجتمعت مجموعة من التلاميذ على شاطىء بحر طبرية ، ويقدم لنا يوحنا في ختام انجيله تقريرا عن هذا الاجتماع .

كان سمعان بطرس هناك • ربما كان لم يزل يعاني من آثار انكاره للسيد ، فلم يكن قد عاد الى حالته الطبيعية ، لكن شكرا للرب فقد كان هناك ، مع التلاميذ •

ان وجود بطرس مع جماعة التلاميذ في ذلك اليوم يعتبر حقيقة مشجعة • ونجد يوحنا يذكر بطرس أولا ، تماما كما حدث بعد القيامة مباشرة عندما أرسلت أخبار القيامة « لتلاميذه ولبطرس » (مر ١٦ : ٧) •

ان طريقة يسوع هي أن يتعامل أولا مع أولئك الذين يعانون من الفشل ، وبعضنا يقفون ضمن هذه الفئة • مرات تهاجمني أشياء فشلت في عملها ، أو أشياء أسأت عملها ، فشل في علاقاتي مع بعض الناس ، واهتمامات لم أشترك فيها مع الاخوة ••• لكن أتعلمون ؟ عندما تهاجمني هذه كلها أشعر أن يسوع يذكرني أولا •

توما أيضا كان هناك ، ربما في ترتيب يتلو بطرس مباشرة • كانت له مشاكل كثيرة ، عقائدية ، وايمانية ، ومن كل نوع • فربما لو أتيحت له فرصة أن يكتب كتابا بعد القيامة مباشرة لكتب الكثير عن شكوكه فيما يتعلق بالقبر الفارغ •

وتثنائيل كان هناك • أتذكرون الرجل الذي كان تحت التينة ؟ ذاك الذي قال :« أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ » (يو ١ : ٤٦)• نعم ، البعض منا قد تساورهم بعض الشكوك • أنا أيضا تحاربني الشكوك • لكن شكرا لله ، فان تثنائيل أيضا كان هناك ، بكل شكوكه •

ويوحنا أيضا كان هناك ، مع أخيه يعقوب :« يعقوب ابن زبدي ويوحنا أخا يعقوب ، وجعل (يسوع) لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد » (مر ٣ : ١٧) • البعض منا يثورون أحيانا كالرعد ، والبعض قد يفقدون أعصابهم تماما عندما يعترضون على أمر ما ، أو يصادفون سوء الفهم • لكن شكرا لله ، فان يعقوب ويوحنا كانا هناك •

ان المجموعة التي اجتمعت على شاطيء البحيرة في ذلك اليوم تمثل البشرية •

و« قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد »، فذهب الجميع معه • ربما كان بطرس يفكر هكذا :« اننا بحاجة الى تغيير شامل ، فلماذا لا نبتعد عن هذا الجو الثقيل بأكمله ؟ فالماضي مقبض ، والحاضر مجهول ، والمستقبل يحمل الكثير من التهديدات والمخاطر • ولا توجد أية بادرة

تغيير • ان الجو كله قاتم ومقبض ، فلماذا لا نجرب الصيد؟ فعلى الأقل انه فرصة لاستنشاق بعض الهواء الطلق النقي » • وهكذا ذهبوا جميعا للصيد •

تذكر أن كل هذا حدث بعد القيامة • فعندما ننتظر أن كل شيء سيكون جميلا ومبهجا فاننا غالبا نواجه المشاكل• أحيانا ، بعد اتمام خدمة مجيدة ناجحة ، نجد أنفسنا نقع في مزالق • نعم ، حتى بعد التمتع بأعظم الاختبارات ، فقد نحس بنفس هذا الشعور ، ونود لو نستطيع أن نبتعد بعيدا عن كل شيء •

وهكذا دخلوا السفينة ، وأخذت تنساب بهم فوق مياه البحيرة • طوال تلك الليلة بذلوا كل جهد ممكن ، لكن بلا فائدة ! لقد خرجوا للصيد ليعالجوا حالتهم ، واذا بها تزداد سوءا • وهذا ما يحدث عادة •

وعندما وصلوا الى مرحلة الفشل الكامل رأوا رجلا يقف على الشاطىء ، وكان هو حاجتهم الوحيدة • كانوا قد فقدوا اتصالهم برجل الجلجثة ، وهذه الخسارة أفقدتهم اختبار القيامة ، لكن ها هم يكتشفون أنه حتى في أحلك ساعات الليل ظلاما كان معهم • كان قد سبق ووعدهم أن يكون معهم ، لكنهم كانوا قد نسوا وعده •

رأوا شخصا يقف على شاطىء البحيرة ، بعيدا عنهم ، ولم يعرفوه • كان جزء من مشكلتهم أنهم فقدوا الشركة والعلاقة الشخصية مع المخلص ، الشركة التى أكسبت حياتهم معنى ، والتى أكسبت اختبارهم ورسالتهم معنى • فعندما يغيب تصبح أنشطتهم ومجهوداتهم مجرد روتين ، بلا معنى •

فناداهم وقال :« يا غلمان ، ألعل عندكم اداما ؟ »• كان الصوت يدعوهم للعودة الى الشركة المفقودة • لم يوجه حديثه اليهم كأشخاص فاشلين ، أو كأناس أضاعوا رسالتهم • كلا ، ان نعمة الصوت هذه مألوفة لديهم ، تعرفهم أنه لا يزال معهم ، حتى في فشلهم •

يا للدرس العظيم ! هنا نعمته تتقابل مع فشلهم ، لأن هذا هو ما كانوا يحتاجون اليه تماما • كانوا يحتاجون الى بداءة جديدة ، ليس مع ملاك ، لكن مع الانسان ، الذى يفهمهم •

« يا غلمان ! هل أمسكتم سمكا ؟ »• ان الاعتراف بالحقيقة يحتاج الى نعمة خاصة ، لذلك كانت نقطة بداية شفائهم من حالتهم هى تلك التى اعترفوا فيها بصراحة قائلين « لا »• فكانت « لا » هذه هى مفتاح البركة •

مرات كثيرة نود لو تتفاداها ، فكم هـو مخجل أن نقول « لا »، سيما حينما ندعى ـ أو يفترض فينا ـ أننا نعرف ماذا نعمل •

كان هؤلاء الرجال صيادين مدربين خبيرين بالبحر • كانوا خبراء في صيد السمك ، وكانوا يظنون أنهم يتقنون مهنتهم ، ويعرفـون مـاذا يفعلون • لكن كان عليهم أن يعترفوا أنهم بعد أن قضوا الليل كله في الصيد ، لم يمسكوا شيئا ، وبقيت شباكهم خاوية فارغة •

بغير يسوع فان المرسليات ، والنهضات ، والاجتماعات تبقى خاوية فارغة ، بالرغم من كل التخطيطات والتنظيمات •

« كلا يا سيد ، لـم نمسك شيئا » ! لـم يوبخهم • البعض منا ربما لو كانوا في نفس الموقف لألقوا محاضرة على التلاميذ ، وأعطوهم درسا طويلا فيما كان يجب عليهم أن يفعلوه • لكن ليست هذه طريقة يسوع ، فالفشل في حد ذاته هو الموبخ والمعلم الأفضل لصاحبه ، فعندما نفشل فاننا نعرف ذلك على الفور ، ولا نكون بحاجة الى واعظ يشير لنا الى هذه الحقيقة •

لقد فهم يسوع الموقف ، وعرف أن ما لاقاه التلاميذ فيه كل الكفاية ، ولذلك نجده يقول لهم :« ألقوا الشبكة

الى جانب السفينة الأيمن فتجدوا »• كانوا قد بلغوا حالة من الضعف جعلتهم غير قادرين على المجادلة ، أو العصيان• بعضنا قد نكون في حـالة أقوى ، فـلا نطيع ، لذلك فان الفشل قد يكون علاجا ناجعا لمن يعصون • فبينما الفشل يقف أمامهم بوجهه الكئيب كانوا على استعداد أن يقبلوا أي اقتراح •

هل ترى ؟ ان الايمان هو الضعف مستندا على القوة ودروس الفشل تجعلنا أكثر اعتمادا على الرب وأكثر طاعة للرب من اختبارات القوة • وهكذا ألقى هـؤلاء الرجال شبكتهم للمرة الأخيرة فأمسكت سمكا كثيرا • يا للبساطة! ويا للعجب !• لقد كانت الشبكة سليمة ، والطريقة التى اتبعوهـا للصيد صحيحة ، لكن عنصرا ما كان مفقـودا ، عنصرا أساسيا ! انه قوة ذاك الذى قام من المـوت ، التى تقوى الضعفاء فيستطيعون أن يواجهوا احتياجات ما يجب عليهم من عمل •

فقال يوحنا :« آه ! هو الرب ! »• عندئذ نجد بطرس، باندفاعه ، وسرعته المعهودة يلقى بنفسه في البحر ، ويسبح في اتجاه الرب • كيف استطاع ذلك ، وهو التلميذ المذنب؟ ذاك الذى أنكره ؟ في مواجهة رجل الجليل ، تحقق بطرس

أن الرب لا يزال يحبه ، ولا يزال يهتم به ، لذا فقد أحس بشجاعة دفعته الى السيد ، دفعته كما هو •

لقد طلب منهم السيد أن يأتوا بالسمك الذى اصطادوه فالرب قد سبق وأعد لهم ما هو أفضل ، فلم يكن عليهم أن يعتمدوا على ثمار مجهوداتهم •

وتناولوا طعام الافطار ، في شركة حلوة مع الرب • حدثهم كأولاد ، وأطعمهم ، وقدم لهم سمكا وخبزا • يا للعجب ! لقد عادوا جميعا الى حالتهم الطبيعية ، ويا له من تغيير !

ونحن المؤمنين نحتاج أحيانا أن نرجع الى حالتنا الطبيعية • مرات تزج بنا مجهوداتنا الى ظروف غير طبيعية، فنحس أن حالتنا غير طبيعية ، وأننا مشحونون بالقلق ، والاهتمامات ، لأن مرات نجاحنا قليلة جدا ، وكل ما حولنا تفوح منه رائحة الفشل • في مثل هذه الأوقات نحتاج أن نسترخى ، وأن نعود الى حالتنا الطبيعية مع الرب •

وعندما عادت الأمور الى طبيعتها بدأ الرب يتكلم :
« يا سمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟»• لو كان الرب قد وجه حديثه الى بطرس وهو السئم ، المتعب ، الجائع ، لانزعج بطرس المسكين • ما أكثر ما يعانى الناس

من مواجهتهم بالحقيقة في توقيت غير ملائم !• ان ما يقال هو الحقيقة ، ويتفق مع تعاليم الكتاب ، لكنه قد يقتل ! وما فعله يسوع في هذه المناسبة هو أنه هيأ أولا الجو الملائم • لقد أطعم بطرس ، وقبله ، وأحبه ، وأعاده الى مكانته ، وأرجع له ثقته بنفسه ، ثم بعد ذلك سأله :« بطرس ، أتحبنى ؟ » •

« ن ــ ع ــ م •• يا سيد » !

« حسنا ، اذا فسأطلب منك أن تفعل شيئا لأجلى » •

هنا تتحول كلمات التحدى الى كلمات مشجعة شافية• انها ليست الحقيقة تلقى في وجه انسان خائر ، انها الحقيقة تقدم بمحبة لشخص واثق ، وبما أن بطرس قد أصبح الآن واثقا من محبته للرب فأى كلمات محبة يوجهها له الرب سوف تنتج آثارها الشافية المقوية • هل نحن تتصرف هكذا ؟

مرة أخرى :« أتحبنى ؟ » ، « ن ــ ع ــ م •• يا سيد »• ان السؤال يتقدم الى ما هو أعمق : « حسنا ، فافعل شيئا لأجلى » •

ثم :« أتحبنى بالحقيقة ؟»• لقد كان السؤال يحمل في طياته تحديا • فلم يسأله يسوع شيئا عن نشاطه ، أو

نجاحه ، أو عن أى شيء آخر ، فقط عن شركته الشخصية معه ، وعلاقته الشخصية به • فهـذا ما سبق وفشل فيه بطرس ، والرب يريد الآن أن يجعـله يركز انتبـاهه على شخصه • وهذا هو الدواء والعلاج لنا جميعا •

فمن المحبة الشخصية ينبع حب جـديد للآخـرين ، وحماس جديد للخدمة ، وفرح مشترك في العمـل • وفي هذه الشركة المتجددة بدأ كل منهم ينظر الى أخيه ، ويرى فيه عجبا • تومـا المتشكك أصبح أخـا ممتازا • يوحنا ويعقوب ابنا الرعد أصبحا أخـوين وديعين محبوبين من الجميع • نثنائيل استطاع أن يرى ملائكة الله صاعدة ونازلة على ابن الانسان • وبطرس أحبهم جميعا •

أمر مدهش !

كل هذا تم في جو الحب •• المحبة التى تتضع وتخدم، المحبة التى ترضي أن تختلط بالفشـل لكى تحـوله الى نجـاح •

ونعمة ! نعمة متفاضلة غامرة !

عندما ننظر الى فشلنا ، ليتنا نفعل ذلك في حضرة ذاك الذى مات وقام ، حتى تكشف الخطية وتغفر • بهذا يمحى

الفشل ، ويتبرر المذنب • ففى حضرته تستطيع أنت وأنا أن ننطلق ونخدم •

ان يسوع يسأل :« أتحبنى ؟ أتحبنى محبة حقيقية ؟ أتحبنى فقط لأن كثيرين قد قبلونى عن طـريق شهادتك ؟ وان لم يقبلنى أى انسان آخر ، فهل تحبنى بالقدر الكافي حتى انك عندما تتحدث عنى تحس بامتياز الخدمة ؟ هـل أنت على استعـداد أن تستمر متمتعا بحضرتى ومشاركا الآخرين في ، تاركا كلماتى كقنبلة موقوتة تضعها في قلوب الناس لكى أفجرها حينما أشاء ؟ »•

اذا دعونا ــ كبطرس ــ ننظر الى يسوع الذى يطعمنا ويرحب بنا ، ويرسلنا لنرعى قطيعه • اننا نخرج للخدمة ــ مبدئيا ــ في نطاقنا الضيق ، لكن ــ كالدوائر التى تتسع على سطح البحيرة ــ فاننا لابد وأن نوسع تخومنا لتشمل العالم كله •

وهذا هو ما يريده أن يكون •

فى هذا الكتاب

صفحة

رقم الايداع ٥٣٨٦ / ١٩٨٨